Association of Arab Universities Journal for Arts مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

Volume 18 | Issue 2 Article 8

2021

The Concept of Text from the Perspective of Heritage and Modernity: Its Impact on Formulating the Theory of a Literary Text

Noureldeen Saddar
Department of Arabic Language and Letters, University Mustafa Stambouli of Mascara, Algeria.

Khaled Bani Domy
Department of Arabic Language and Literature, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Follow this and additional works at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aauja

Part of the Arabic Language and Literature Commons

Recommended Citation

Saddar, Noureldeen and Bani Domy, Khaled (2021) "The Concept of Text from the Perspective of Heritage and Modernity: Its Impact on Formulating the Theory of a Literary Text," *Association of Arab Universities Journal for Arts مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب*: Vol. 18: Iss. 2, Article 8.
Available at: https://digitalcommons.aaru.edu.jo/aauja/vol18/iss2/8

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Association of Arab Universities Journal for Arts مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب by an authorized editor. The journal is hosted on Digital Commons, an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aaru.edu.jo, marah@aaru.edu.jo, u.murad@aaru.edu.jo.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 18 العدد 2، 2021، ص ص 579- 619

مفهوم النّصّ بين منظور التّراث ورؤية الحداثة وأثره في صياغة نظريّة النّصّ الأدبيّ

نور الدين صدّار* وخالد بني دومي**

تاريخ الاستلام: 2021/02/03 تاريخ القبول: 2021/04/19

https://doi.org/10.51405/18.2.8

ملخّص

يهدف هذا البحث إلى مناقشة إشكاليّة مفهوم النّصّ بين التّراث النّقديّ العربيّ والفكر النّقديّ الغربيّ، وبيان أثره في صياغة نظريّة النّصّ الأدبيّ المعاصرة؛ وهي الإشكاليّة التي تنطلق من فرضيّة مؤدّاها أنّ الفكر النّقديّ العربيّ قد أصّل لمكوّنات هذه النّظريّة التي نجد لها جذورًا ومرجعيّاتٍ في تراثنا النّقديّ والأدبيّ والبلاغيّ والفلسفيّ. ومن ثَمَّ فإنّ نظريّة النّصّ في الفكر النّقديّ المعاصر هي امتدادٌ لهذا الإرث، بالاستفادة من إنجازات الفلاسفة والألسنيّين والنّقّاد، وإنجازات المناهج النّقديّة المعاصرة.

ويأتي البحث للإجابة عن أسئلة مهمّة أبرزها: هل كانت الدّراسة النقديّة معنيّة بالتّنظير للنّصّ؟ وهل يمتلك التّراث النّقديّ آليّات للتّعامل مع النّص؟ وما دور هذا الإرث النّقديّ التّراثيّ في صياغة نظريّة النّصّ الأدبيّ المعاصرة؟

للإجابة عن هذه الأسئلة، اتّبعنا خطّةً إجرائيّة تقع في ثلاثة محاور: الأوّل خصّصناه لتحليل مكوّنات النّظريّة النّصيّة ومرجعيّاتها في تراثنا النّقديّ والبلاغيّ. الثّاني تناولنا فيه مكوّنات النّظريّة النّصيّة في الفكر النّقديّ الغربيّ، الثّالث تناولنا فيه أثر مفهوم النّصّ ـ كما سيأتي بيانه ـ في صياغة معالم نظريّة النّصّ الأدبيّ وأبعادها.

الكلمات المفتاحيّة: إشكاليّة المفهوم، التّراث النّقديّ، المرجعيّات، المكوّنات، نظريّة النّصّ.

مقدّمة

تتمحور أهميّة البحث حول إشكاليّة تراثيّة حداثيّة، وهي الإشكاليّة التي تحاول مناقشة مفهوم النّصّ بين التّراث والحداثة، وتبيان أثره في صياغة نظريّة النّصّ الأدبيّ، التي أثارت كثيرًا من الجدل على مستوى الدّرس اللغويّ والنّقديّ والبلاغيّ والفلسفيّ، الأمر الذي أضفى عليها تشعّبًا وتعقيدًا؛ ممّا استوجب قراءة متجدّدة لكثير من المفاهيم ذات الصّلة بدراسة النّصّ وممارسة الخطاب. ومن هنا برزت الأسئلة الآتية: هل اهتمّ الدّرس النّقديّ في تراثنا بالتّنظير للنّصّ؟ وهل

* قسم اللغة والأدب العربيّ، كلّيّة الآداب واللغات، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، الجزائر.
** قسم اللغة العربيّة وآدابها، كلّيّة الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

Published by Arab Journals Platform, 2021

يتوفّر تراثنا النّقديّ على الآليّات والأدوات الإجرائيّة الكفيلة لمقاربة النّصّ وتمثّله؟ وما دور هذا الإرث النّقديّ التّراثيّ في صياغة نظريّة النّصّ الأدبيّ المعاصرة؟ وما الإسهامات التي أضافتها نظريّة النّصّ المعاصرة إلى الفكر النّقديّ المعاصر بشكلٍ عامّ؟ تلكم هي الأسئلة الإشكاليّة التي يحاول هذا البحث الإجابة عنها.

واقتضت خطّتنا الإجرائيّة معالجة هذه الأسئلة في ثلاثة محاور رئيسيّة، خصّصنا الأوّل لتحليل مكوّنات النّظريّة النّصّيّة ومرجعيّاتها في تراثنا النّقديّ والبلاغيّ. أمّا المحور الثّاني فتناولنا فيه مكوّنات النّظريّة النّصّيّة في الفكر النّقديّ الغربيّ مراعين في ذلك ما استفادته من التّراث النّقديّ ومن الإنجازات النّقديّة والأسلوبيّة المعاصرة. وأمّا الثّالث فقد تناولنا فيه أثر مفهوم النّصّ في صياغة المعالم والأبعاد لنظريّة النّصّ الأدبيّ.

ويروم البحث أساسًا تأصيلَ مفهوم النّصّ، ومن خلاله نظريّة النّصّ في التّراث اللغويّ والبلاغيّ والنّقديّ، انطلاقًا من قناعتنا الرّاسخة بأنّ الفكر العربيّ القديم بمختلف مكوّناته أصّل للنّصّيّة العربيّة التي نجد مظاهرها حاضرة في الإرث الإبستمولوجيّ العربيّ الذي كان تأصيلًا وامتدادًا لرؤية نصّيّة معاصرة.

وجاء البحث ليعيد قراءة المفاهيم والمصطلحات النّصّيّة في التّراث العربيّ، بوصفها كيانًا معرفيًّا موجودًا يعالج الموضوعات الأخرى في ضوء إنجازات الألسنيّين والنّقّاد المعاصرين، التي حوّلت دراسة النّصّ إلى قضيّة كبرى. وقد ارتضينا منهجًا للبحث مناسبًا لمناقشة هذه الإشكاليّة يمكن أن نختزله في ثلاث مفردات: الوصف، والاستقراء، والتّحليل.

وقد مكّننا المنهج الوصفيّ من جمع النّصوص العلميّة المستهدفة حول مفهوم النّصّ وحصر إشكاليّة الدّراسة، ووضعها في إطارها الصّحيح، وتفسير جميع الظّروف المحيطة بها. وتطلّب البحث، أيضًا، الاستعانة بالاستقراء لأنّنا كنّا في حاجة إلى ربط النّصوص للوصول إلى بعض الاستنتاجات، وكانت حاجتنا إلى المنهج التّحليليّ، إذ اقتضى البحث منا تفسير النّصوص النّقديّة وتحليلها من أجل كشف الغموض عن المفاهيم والمصطلحات، وتوضيح الأسباب للوصول إلى النتائج.

الدّراسات السّابقة

انطلاقًا من إشكاليّة البحث التي تتناول قضيّة تراثيّة حداثيّة، اقتضت الضّرورة المنهجيّة الاستعانة بمجموعة من الدّراسات السّابقة، منها ما يتّصل بالتّراث النّقديّ العربيّ، ومنها ما له صلة بالدّراسات الحداثيّة التي تناولت إشكاليّة النّصّ ونظريّته. وكانت قراءتنا الأساسيّة في المصادر العربيّة القديمة التي قاربت مفهوم النّصّ بشكل أو بآخر، والتي اعتبرناها المصادر التي أصّلت

لموضوع بحثنا. ونشير هنا على سبيل الأهمّيّة إلى "البيان والتّبيين" للجاحظ، الذي يتضمّن إشاراتٍ مهمّةً للتّعريف بالممارسة النّصّيّة والكتابة وشروط إنتاج النّصّ ونسجه، كما استعنّا بكتاب" نقد الشّعر" لقدامة بن جعفر، و"منهاج البلغاء وسراج الأدباء" للقرطاجنّيّ لإيلائه مفهوم المقصديّة وأثره في إنتاج النّصّ عنايةً خاصّةً، فضلًا عن كتابي "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجانيّ لما يتضمّنان من أبعاد أساسيّة شكّلت النّواة الأولى لنظريّة النّصّ، ونعني بذلك نظريّة النّظم، وكتاب "المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع" للسّجلماسيّ، و"حلية المحاضرة" التي أضفى الحاتميّ فيها على النّصّ مفهوم الجسديّة والحيويّة والفعاليّة والتّناسق والانسجام. ولم يهمل البحثُ المصادر ذات التّوجّه الفلسفيّ بوصفها المصادر التي كان لها تأثير في النّقّاد المتأخّرين، ونعني بها المصادر الفلسفيّة منها: "رسالة في قوانين صناعة الشّعراء" للفارابي، و"فنّ الشّعر، من كتاب الشّفاء" لابن سينا.

أمّا الدّراسات الحديثة فقد كان البحث في أمسّ الحاجة إليها لتَمَثُّل الإسهامات التي جاءت في المصادر التّراثيّة من جهة، ولإقامة حوار إبستيمولوجيّ بين الفكر النّقديّ العربيّ القديم، والفكر النّقديّ المعاصر من جهة ثانية، بغية تأسيس الصّلات والوشائج بين الدّراسات التّراثيّة والدّراسات الحديثة. وكان تركيزنا على جهود جوليا كرستيفا في كتابها "ثورة اللغة الشّعريّة " وعلى غريماس في كتابه "من المعنى"، و"نظريّة النّصّ" عند رولان بارت، وكتاب "من النّصّ إلى الفعل " لبول ريكور، فضلًا عن دراسات ضافية لباحثين عرب نذكر منها: دراسة نصر أبي زيد الموسومة "مفهوم النّصّ"، و"النّصّ القرآنيّ" لأدونيس، و"ثقافة الأسئلة" لعبد الله الغذّامي، و"اللغة الثّانية" لفاضل ثامر، وغيرها من الدّراسات العربيّة المعاصرة التي أشرنا إليها في قائمة المصادر والمراجع.

أوّلًا ـ مفهوم النّصّ في التّراث العربيّ القديم

لمعالجة هذا المحور اقتضت خطّة البحث الوقوف عند مفهوم النّصّ وهويّته، بوصفه المرجعيّة النّظريّة التي تتوفر على الخطوط العريضة لنظريّة النّصّ في التّراث العربيّ، قبل الكشف عن مسعى النّقد العربيّ القديم في تأسيس هذا المفهوم وتقويمه. فبحثنا في الأبعاد التي تناولها النّقّاد في حقل النّصّ، والتي تجعله متلاحم الأجزاء، فضلًا عن كونه صناعة ونسجًا وتصويرًا يتطلب الحذق والإتقان والجودة، وهو جَسَد تتّصل أعضاؤه اتّصالًا محكمًا، وهو من إنتاج المقصديّة. وقد لعب الفلاسفة المسلمون دورًا أساسيًّا في تحريك الفعاليّة النّقديّة المتّصلة بالنّصّ، فتناولوا مسائل تتعلّق بالأسلوب والصّناعة الأدبيّة، وركزنا، في هذا السّياق، على أعلام هذه النّظريّة من أمثال الجاحظ، الحاتميّ، الجرجانيّ، القرطاجنّيّ، السجلماسيّ، والفارابيّ، الذين وقفوا على كثير من المسائل النّظريّة والإجرائيّة التي تتّصل اتّصالًا وثيقًا بالتّنظير للنّصّ، وتشكل

دعاماتٍ ومكوّناتٍ أساسيّةً تؤطّر نظريّة النّصّ الأدبيّ المعاصرة. وقد رأينا من المفيد للبحث أن نستهله بالوقوف عند الدّلالة اللغويّة في أهمّ المعاجم العربيّة القديمة؛ لمعرفة التّحوّل الذي عرفه تطوّر مصطلح "النّصّ" من المستوى المعجميّ إلى المستوى الاصطلاحيّ الذي دخل في حقول معرفيّة متعدّدة.

1ـ مفهوم النّصّ في التّراث اللسانيّ العربيّ

1ـ1 مفهوم النّصّ في المعاجم العربيّة

ظلّ مفهوم النّصّ في التّراث العربيّ القديم منحصرًا في الدّلالة على الكتاب والسّنّة بشكل عامّ، وتؤكّد المعاجم اللغويّة العربيّة التي تناولت مصطلح "النّصّ" أنّ دلالته تشير إلى الرّفعة والظّهور. جاء في لسان العرب في مادة 'نصص': "النّصّ، وهي الأصل، يقال: نصّ ينصّ نصًّا، والنّصّ رفعك الشّيء، ونصّ الحديث ينصّه نصًّا: رفعه، وكلّ ما أظهر فقد نصّ، ومنه المنصّة، وقال الأزهريّ (ت 370هـ): النّصّ منتهى الأشياء، ومبلغ أقصاها، ومنه نصصت الرّجل إذا استقصيت مسألته عن الشّيء، حيث تستخرج كلّ ما عنده، وكذلك النّصّ إنّما هو أقصى ما تقدر عليه الرّاية... ونصّ الشّيء وانتصب إذا استوى واستقام. ونصّت الظّبية جيدها: رفعته. والمنصة: ما تظهر عليه العروس لترى. ونصّ المتاع نصًّا: جعل بعضه فوق بعض، ونصّ الدّابّة ينصّها نصًّا: رفعها في السّير. وفي حديث هرقل: ينصّهم، أي يستخرج رأيهم ويظهره، ومنه قول الفقهاء: نصّ القرآن ونصّ السّنّة، أي ما دلّ ظاهر لفظهما عليه من الأحكام"[1]. وشاع استخدام مصطلح "نصّ" في التّراث الشّعريّ الجاهليّ، حيث وردت كلمة "نصّ" في بيت لامرئ القيس:

وجيدٍ كجيدِ الرِّئمِ ليسَ بفاحشٍ إذا هي نصّتهُ ولا بمعطَّلِ [2]

وفي القاموس المحيط ورد في مادة (نصص): "(نصّ) الحديث رفعه، إليه، وناقَتَهُ: استَخْرَجَ أقْصَى ما عندَها من السَّيْرِ، والشيءَ: حَرَّكَهُ، ومنه: فلانٌ يَنُصُّ أنْفَهُ غَضَبَاً، وهو نَصَّاصُ الأنفِ، والمَتَاعَ: جَعَلَ بعضَهُ فوقَ بعضٍ، وفلاناً: استَقْصَى مَسْأَلَتَهُ عن الشّيءِ، والعَرُوسَ: أقْعَدَها على المِنَصَّةِ، بالكسر، وهي ما تُرْفَعُ عليه، فانْتَصَّتْ، والشّيءَ: أظْهَرَهُ، والشَّوَاءُ يَنِصُّ نَصيصاً: صَوَّتَ على النّارِ، والقِدْرُ: غَلَتْ. والمَنَصَّةُ، بالفتح: الحَجَلَةُ من نَصِّ المَتاعِ. والنَّصُّ: الإسْنَادُ إلى الرئيسِ..... وسَيْرٌ نَصٌّ[3]. وفي الصّحاح جاءت مادة (نصّ) في حديث عليّ رضي الله عنه: "إذا بلغ النّساء نصّ الحقاق" يعني منتهى بلوغ العقل. و(نصنص) الشّيء: حرّكه. وفي حديث أبي بكر، رضي الله عنه، حين دخل عليه عمر، رضي الله عنه، وهو ينصنص لسانه، ويقول: هذا أوردني الموارد"[4].

نخلص من استقراء الدّلالات لمادة "نصّ" في المعاجم العربيّة السّابقة أنّ كلمة (نصّ) تعني في جملةِ ما تعنيه الظّهور والارتفاع والبروز والاكتمال، وهي الدّلالات التي لا تزال قائمة، "وهي جزء من المفهوم الذي أصبح متعارفًا عليه في النّصّ، ولا تزال هذه الدّلالة حاضرة في الاستخدام اللغويّ. وبرصدنا للتّطوّر التّاريخيّ لدلالة الكلمة نجد أنّ مصطلح (نصّ) يشتمل على مدلولات ماديّة وأخرى معنويّة؛ فمن المدلولات الماديّة ما وجدناه في الدّالّ "منصّة" التي تعني المكان المرتفع البارز للنّاظرين، والنّصّة هي العُصفورة بالضّمّ، وهي الخصلة من الشّعر، أو الشّعر الذي يقع على وجهها من مقدّم رأسها، والدّلالة الحسّيّة كما في نصّت الدابّة جيدها إذا رفعته، ونصّ الشّيء حرّكه، ومن الدّلالات المعنويّة: نصّ الأمور: شديدها، ونصّ الرّجل: سؤاله عن الشّيء حتّى يستقصي ما عنده، وبلغ النّساء نصّ الحقاق: أي سنّ البلوغ.

نستفيد من ذلك أنّه لا يوجد في التّراث العربيّ القديم تعريف منهجيّ دقيق وشامل للنّصّ يسمح بتحديد مكوّناته العلميّة والمنهجيّة، غير أنّ غياب "التّعريف بالنّصّ لا يعني عدم معرفة العرب به أو عدم وجود جذور له في العربيّة، كما سنرى فيما بعد في هذا البحث. ومن هنا يتبادر إلى ذهننا السّؤال الآتي: هل عرف العرب الممارسة النّصّيّة Pratique Textuelle؟ إذا أردنا بيان مفهوم 'الممارسة النّصّيّة' كما تطرحه اليوم نظريّة النّصّ، فإنّنا نقول إنّ الثّقافة العربيّة، في عمومها، باستثناء بعض الكتابات الموثّقة قبل العصر الإسلاميّ في أغراض خاصّة ـ لم تعرف الممارسة النّصّيّة ما عدا القرآن الكريم الذي يعدّ النّصّ النموذج المكتمل في تاريخ الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، ذلك لكون القرآن الكريم نصًّا مميَّزًا يتّسم بخصائصه الأسلوبيّة والبلاغيّة الفريدة من نوعها. وذهب أدونيس إلى القول إنّ النّصّ القرآنيّ تجاوز "الشّخص... لهذا لا يطرح النّصّ القرآنيّ مسألة ما الشّعر، أو ما النّثر، إنّما يطرح السّؤال ما الكتابة، والكتاب.؟... هكذا يقرأ النّصّ القرآنيّ بوصفه نصًّا يجمع في بنيته أشكال الكتابة جميعًا[5] .

وإذا كان النّصّ القرآنيّ يجمع أشكال الكتابة جميعًا، فإنّه من هذا المنظور يطرح إشكاليّة معقّدة، وهي إشكاليّة تصنيفه، إذ إنّه يخرج عن أشكال الكتابة، ما يجعلنا نخرجه من دائرة التّصنيفات وأجناس النّصوص، وهذا ما يؤكّده شكري الماضي في إجابته عن سؤال: ما النّصّ القرآنيّ؟ بقوله إنّه "نصّ مكتوب (نصّ/ كتابة)، يطرح إشكاليّة التّصنيف (ليس له شكل محدود ولا ينتمي إلى نوع من أنواع الكتابة المألوفة)، ليس له بؤرة مركزيّة (بل يتضمّن بؤرًا لا نهاية لها)، وهو بلا بداية أو نهاية (له فاتحة ولكن ليست له بداية أو نهاية بالمعني المألوف)، يقبل تأويلات لا حصر لها (حظي بهذا وسيبقى يحظى بتأويلات لا نهاية لها)، ذوات طاقة رمزيّة مطلقة، الإحالة المرجعيّة في النّصّ القرآنيّ على النّصّ نفسه، وحقوق الطّبع للنّصّ القرآنيّ غير محفوظة لأحد"[6].
وقد فطن عبد القاهر الجرجانيّ لهذه الفكرة، فبيّن أنّ النّصّ القرآنيّ يطرح إشكاليّة التّصنيف

والتّحديد، ذلك لما تميّزت به الكتابة القرآنيّة من خصائص لم تكن لتعرف من قبل نزول القرآن، وأنّ خصائصه لا تكمن في ألفاظه أو أصواته أو معانيه، إنّما في النّظم والتّركيب[7].

ويؤكّد 'الباقلانيّ' الفكرة السّابقة، فيذهب إلى أنّ النّصّ القرآنيّ نصّ فريد يقوم على غير مثال، فهو ليس كالنّصوص الذي سبقته أو التي لحقت به؛ وأنّ نظمه "على تصرّف وجوهه، وتباين مذاهبه، خرج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختصّ به، ويتميّز في تصرّفه من أساليب الكلام المعتاد"[8].

أمّا أدونيس فقد وقف منبهرًا أمام النّصّ القرآنيّ العجيب فقال إنّه: "نموذج من الكتابة تتداخل فيه مختلف أنواع المعرفة ـ فلسفةً وأخلاقًا، سياسةً وتشريعًا، اجتماعًا واقتصادًا، وتتداخل فيه مختلف أنواع الكتابة... وفي هذا ما يتيح للكاتب أن يعيد النّظر في رؤياه للإنسان والعالم والكتابة، ولن تكون هذه الرؤيا إلا كونية وإنسانية"[9].

إنّ فرادة النّصّ القرآنيّ مصدرها التّصوّر الإسلاميّ المبنيّ على عقيدة التّوحيد التي هي نفي الشّبه بين الله وبين خلقه. فالله في الإسلام الحنيف واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ، لا شريك له، لأنّ الله في التّصوّر الإسلاميّ، لا يشبه شيئًا، و"ليس كمثله شيء". ومن هنا كان النّصّ القرآنيّ متميّزًا؛ "نصّ لا يسمّى، أو لا تسمح معايير الأنواع الأدبيّة بتسميته. إنّه نصّ لا يأخذ معياره من مخارج ـ من قواعد ومبادئ محدّدة، وإنّما معياره داخليّ فيه... وإنّه مطلق: لا يدرَك معناه، ولا يبدأ ولا ينتهي، وهو بوصفه مطلقًا يتجلّى في زمان ومكان، متحرّك الدّلالة، مفتوح بلا نهاية. إنّه فنّ آخرِ القول، وفنُّ آخرُ من القول، فنّ في الكتابة، وفنّ في تكوّن النّصّ... إنّه الكتابة المطلقة لكتابةٍ مطلق"[10] .

والواقع، فإنّ إشكاليّة النّصّ القرآنيّ ـ لا تكمن في مسألة فرادته وتصنيفه فحسب، أو في أي مستوى من مستوياته، كما يراها أدونيس؛ "بدأت تظهر مع ظهور المنهج النّصّانيّ، ومحاولة تطبيقه على القرآن من قبل بعض المثقّفين والنّقّاد، وإخضاعه لشروط النّظريّة النّصّيّة، والادّعاء بأنّ القرآن (نصّ) بالمفهوم الحديث والمعاصر للنّصّ. إذا كانت النّصّانيّة تمثّل الجانب العلميّ والعمليّ لنظريّة النّصّ، ومآل تشكّلات خطاب المغايرة، فإنّه يتعذّر علينا أن نطلق مصطلح نصّ على القرآن الكريم؛ لأنّ ذلك يفتح الباب على مصراعيه لتصنيف القرآن الكريم ضمن النّصوص البشريّة الأخرى، ويخدم مساعي بعض المفكّرين المغرضين الذين حاولوا إخراجه من هذا التصنيف: كلامُ اللهِ تعالى المُنزّل على نبيه مُحمّدٍ، صلّى الله عليه وسلّم، المُعْجزُ بلفْظه ومعناه، المُتعبَّدُ بتلاوته، المنقولُ إلينا بالتّواتر، المكتوبُ في المصاحف من أَوّلِ سورة الفاتحة إلى آخِرِ سورة الناس".

1ـ 2 مفهوم النّصّ في التّراث اللغويّ والنّقديّ العربيّ

للبحث عن جذور مفهوم النّصّ ومرجعيّاته في التّراث النّقديّ العربيّ والتأصيل له، اقتضت الخطّة المنهجيّة أن نقف عند أبرز أعلام اللغة والبلاغة والنّقد الذين كانت لهم إسهامات متميّزة، للكشف عن المكوّنات الجوهريّة التي أسهمت في صياغة الخطوط العريضة لنظريّة نصّيّة أدبيّة عربيّة، انطلاقًا من حقول معرفيّة كثيرة. فالتّراث العربيّ القديم يتوفّر على نظريّات علميّة في اللغة والبلاغة والنّقد، وهي في الحقيقة نظريّات غير مكتملة، ولكنّ بإمكاننا الاستعانة بها لمقاربة مفهوم النّصّيّة العربيّة وتأصيلها. من أجل ذلك آثرنا أن نحدّد المتن الذي رأيناه يتوفر على المادّة العلميّة لأهمّ أعلام البيان والبلاغة والنّقد من أمثال: الجاحظ، وسيبويه والجرجانيّ والقرطاجنّيّ والسجلماسيّ، والفارابي...

إذا كانت المعاجم اللغويّة العربيّة حصرت مفهوم النّصّ في الرّفعة والظّهور كحدث كلاميّ، فإنّ مفهوم النّصّ في النظريّة اللغويّة العربيّة يتفرّع إلى عدّة مفاهيم. فعلماء النّحو لم يستعملوا مصطلح النّصّ، بل كان اهتمامهم منصبًّا على الجملة التي "درسها العلماء القدامى دراسات عديدة تحت أبواب إعرابيّة ونحويّة ودلاليّة"[11]. ويستغرب عبد الرّحمن حاج صالح من عدم إشارة شيوخ العربيّة، ومنهم الخليل بن أحمد (ت 175هـ)، وسيبويه (ت 180هـ) إلى مصطلح الجملة، "فهذا أمر غريب آخر، فلا يوجد أي أثر للكلم (الجملة) في كتاب سيبويه، وكذلك العبارة (جملة مفيدة) لا أثر لها في الكتاب، ولا نعثر على كلمة جملة بعد سيبويه إلا في كتاب "المقتضب" للمبرّد، ونرجّح أنّ شيخه 'المازنيّ' (ت 249 هـ) هو الذي وضع المصطلح، فإنّه أوّل نحويّ يستمدّ كلمة فائدة بمعنى العلم المستفاد من الكلام، وهذا المفهوم يعبّر عنه سيبويه بكلم (علم)"[12].

ويرى محمّد عابد الجابري أنّ اهتمام علماء البلاغة بمفهوم البيان ظهر متأخّرًا، فضلًا عن تصنيفهم لعلوم البلاغة التي كانت بشكل دقيق مع 'السّكّاكيّ' (ت 626 هـ)"[13]. فالبحث في مفهوم البيان أسهم في صياغة مفهوم النّصّ، و"مفهوم البيان يعدّ من الأعمال الأساسيّة التي أسهمت في نقل الثّقافة العربيّة الإسلاميّة من نطاق "المشافهة والرّواية إلى نطاق الكتابة والدّراية"[14]. فالتّحوّل من المشافهة إلى الكتابة هو تحوّل إلى النّصّ. بمعنى أنّ مفهوم البيان هو تأصيل لمفهوم النّصّ وللقواعد التي تفسّره. لذلك كان النّصّ وسيظلّ "مقولة مركزيّة في بناء الحضارة، حتّى إنّ الحضارة الإسلاميّة توصف بأنّها حضارة النّصّ، والقرآن الكريم نصّ محوريّ فيها، وليس معنى ذلك أنّ النّصّ بمفرده هو الذي أنشأ الحضارة. فإنّ النّصّ أيًّا كان لا ينشئ حضارة ولا يقيم علومًا وثقافة. إنّ الذي أنشأ الحضارة وأقام الثقافة جدل الإنسان مع الواقع من جهة، وحواره مع النّصّ من جهة أخرى"[15]. وقد أكّد 'نصر أبو زيد' فكرةَ بعد النّصّ في بناء الحضارة العربيّة الإسلاميّة

في قوله: "إنّ الحضارة المصريّة القديمة هي حضارة ما بعد الموت، وإنّ الحضارة اليونانيّة هي حضارة العقل، أمّا الحضارة العربيّة الإسلاميّة فهي حضارة النّصّ"[16].

إنّ لطبيعة البيان العربيّ بعدين أساسيّين: بُعد إنتاج الخطاب، وبُعد تفسيره، وحينما يتعلّق الأمر بالبيان فهو إنّما يتعلّق بالنّصّ والخطاب، ولتوضيح ذلك يقتضي التّركيز على بُعد إنتاج الخطاب (النّصّ). ويُعدّ الجاحظ، (159هـ ـ 255 هـ)، أحد الأعلام البارزين الذين اهتمّوا بنظريّة النّصّ الأدبيّ في كتابيه: الحيوان، والبيان والتّبيين. و"يعدّ (الجاحظ) حدثًا فريدًا من نوعه في تاريخ بحوث اللغة العربيّة، وبخاصّة ما تعلّق منها بمفهوم البيان الذي تجاوزته شروط تفسير الخطاب والقوانين المتحكّمة فيه إلى محاولة تحديد شروط إنتاج الخطاب[17]. حيث برز وعيه بأهمّيّة النّصّ من خلال وعيه بأهمّيّة الكتابة والكتاب بوصفهما بديلًا حضاريًّا عن اللفظ والذّاكرة"[18].

وممّا يؤكّد وعي الجاحظ بأهمّيّة النّصّ وشروط إنتاجه، رؤية النّصّ المنقولة عن ذي الرّمّة التي أعطى فيها الأهمّيّة للكتابة/ النّصّ، لا للحفظ والرّواية، وممّا جاء في ذلك: "وقد قال ذو الرّمّة لعيسى بن عمر، اكتب شعري، فالكتاب أحبّ إليّ من الحفظ، لأنّ الأعرابيّ ينسى الكلمة وقد سهر في طلبها ليلته فيضع في موضعها كلمة في وزنها ثم ينشدها الناس، والكِتاب لا ينسى ولا يُبدل كلامًا بكلام"[19]. وسما الجاحظ بالكتابة/ النّصّ، بل عدّهما "بمنزلة المؤسّسة الاجتماعيّة في نقل المعرفة عبر الزّمان والمكان وتبليغها وترسيخها في الأذهان، وفي ذلك تجاوز لثقافة الجمع والحفظ والرّواية التي لا تتجاوز سامعها إلى مستوى جديد تحلّ فيه الوثيقة المكتوبة محلّها في التّعامل المؤسّسيّ بين القوم، أي بين العرب وغيرهم من الأقوام والمجتمعات"[20].

ومن المظاهر التي تؤكّد اهتمام الجاحظ بالنّصّ وبشروط إنتاجه، تركيزه على دراسة النّصّ الشّعريّ، فلقد بحث في الأبعاد التي تجعل النّصّ نسجًا متلاحم الأجزاء: نسجًا متلاحمًا منسجمًا ومتكامل الأجزاء ينبغي أن يتحقّق بين الأبيات، ثم بين الصدر والعجز وبين الألفاظ المشكّلة لكلّ شطر، وبين الأصوات (الحروف) المشكّلة للّفظ، وهذا ما تؤكده الفقرة التالية: "أجود الشّعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه أفرغ إفراغًا واحدًا وسبك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"[21]. وفي هذا السياق نقف عند مسألة اهتمام أبي عثمان بأثر البعد الصّوتيّ في التحام أجزاء النّصّ، فلا يتحقّق النّسج النّصّيّ إلّا إذا تآلفت الأصوات، ولا يتحقّق التآلف إلّا بتباعد مخارج الأصوات (الحروف)، وهذا يتجسّد في عبارته "سهل المخارج". وقد استشهد الجاحظ لفكرته ببيتين من الشّعر، الأوّل أنشده خلف الأحمر:

وبعضُ قريض القوم أولادُ علّة يَكُدُّ لسانَ الناطق المتحفظ

والثاني أنشده أبو البيداء الرّياحي:

وشعرٍ كَبعر الكَبش فرّقَ بينه لسان دعيٍّ في القريض دخيل

فالنّصّ (الشّعريّ) نسج من الكلمات والحروف المترابطة المحكمة النّسج بعضها ببعض، وليس النّصّ (أيّ نص) مجرّد ألفاظ وأصوات تفتقر إلى التآلف والانسجام، ولو كانت الأصوات كذلك لما استساغها النّاس. يقول الجاحظ: "وإذا كان الشّعر مستكرهًا، وكانت ألفاظ البيت من الشّعر لا يقع بعضها مماثلًا لبعض، كان بينها من التّنافر ما بين أولاد العَلّات"[22].

وفي هذا السّياق يؤكّد الجاحظ أنّ غياب التآلف والانسجام بين الحروف والكلمات والأبيات ينشأ عنه التّنافر في النّسج النّصّيّ، ما ينفّر قارئ النّصّ، كما يكره أولاد العَلّات بعضهم بعضًا. لذا كان التآلف والانسجام مطلبًا نصوصيًّا، فلا يبرز جمال النّصّ ونورانيّته إلّا إذا تحقّق التآلف والانسجام بين الأجزاء، وتحقيق ذلك مرتبط بانسجام البعد الصّوتيّ المشكّل للحرف (اللفظ).

إنّ تأكيد الجاحظ مسألة التّآلف والانسجام بين الحروف والكلمات والأبيات ودورها في النّسج النّصّيّ أمر جعله يشدّد مرّة أخرى على أنّ عمليّة إنتاج النّصّ معقّدة أشدّ التّعقيد، فهي تقتضي معرفة دقيقة وإحاطة شاملة بعلوم اللغة والبيان والموسيقى وغيرها من المعارف الأساسيّة في تشكيل النّصّ (الشّعريّ على الخصوص). فالنّصّ الشّعريّ صناعة ونسج وتصوير كما يقول الجاحظ: "وإنّما الشّعر صناعة وضرب من النّسج وجنس من التّصوير"[23]؛ فالمصطلحات الأساسيّة التي تضمّنتها هذه العبارة وهي: 'صناعة '، 'نسج'، ' تصوير' تشكّل مفاتيح أساسيّة لنظريّة النّصّ، أرسى جانبًا من معالمها أبو عثمان. فالصناعة تقتضي قَدرًا كبيرًا من الحذق والإتقان والجودة في التّصوير. فعلّة "الجمع بين النّسج والتّصوير، وتأليف الشّعر إنّما تكمن في أنّ كلًّا منهما يولد من خلال التّطوّر بتغيّر يلحق الأطوار"[24].

وحاول الحاتميّ (ت 388هـ) أن يدلي بدلوه في هذا الموضوع، وتعدّ إسهاماته في تحديد مفهوم النّصّ تأصيلًا لنظريّته، وهي إسهامات تسمو بكثير على ما تقدّم به أبو عثمان. فالنّصّ الأدبيّ عنده جسد كجسد الإنسان، تتّصل أعضاؤه اتّصالًا محكمًا وثيقًا، وانفصال أيّ عضو عن هذا الجسد سيلحق به تشويهًا، والأمر نفسه يقال عن النّصّ، فانفصال أيّ جزء من أجزائه، أو عنصر من عناصره، سيكون سببًا في تشويهه. فقد كانت رؤية الحاتميّ للنّصّ رؤية شموليّة، وهذا ما عبّر عنه بالانسجام والترابط بين الحروف والكلمات والأبيات... ومن هذه الرّؤية يصبح النّصّ جسمًا أو جسدًا... بنية كلّيّة محكمة العناصر، فلا قيمة لأيّ عنصر فيه إلّا في بنيته، فلا قيمة للحرف إلّا في الكلمة، ولا قيمة للكلمة إلّا في الجملة، ولا للجملة إلّا في النّصّ "القصيدة (النّصّ) مثلها مثل خلق الإنسان في اتّصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد من الآخر وباينه في صحّة التّركيب غادر بالجسم عاهة تتخوّن محاسنه وتعفي معالم جماله"[25]. وهي الفكرة نفسها التي قال بها النّقاد الفرنسيّون.

ولا مراء في أنّ هذا التّصوّر للنّصّ بوصفه جسدًا قد أسهم، بشكل أو بآخر، في بلورة الأبعاد المنهجيّة التي تؤطّر نظريّة النّصّ. وقد تمظهر مفهوم الجسديّة عند كثير من علماء اللغة والبلاغة، وورد في كثير من النّصوص النّقديّة، التي أكّدت فعاليّة النّصّ وكينونته اللغويّة وفرادته في عالم الظّواهر. وعرّف قدامة بن جعفر (ت 334هـ) الشّعر في قوله: "إنّه قول موزون مقفّى يدلّ على معنى"[26]. إنّ التّعريف الذي اقترحه قدامة للشّعر، هو في الحقيقة تعريف للنّصّ، الذي حدّد فيه أركان النّصّ الشّعريّ الأربعة، يشملها كون لغويّ ينتظم في قطبين: اللفظ، ومن توابعه الوزن والقافية، والمعنى، وهو رأس كلّ مقاربة نصيّة في التّراث.

ومع التّراكم المعرفيّ عبر العصور بدأت تطلّ علينا مفاهيم تراثيّة تغني فهمنا لماهيّة النّصّ، وهي المفاهيم التي نِخالها تقترب إلى حدّ كبير من المفاهيم الأساسيّة لنظريّة النّصّ الأدبيّ التي بلورها فرسان النصّ في النّقد الغربيّ المعاصر وفي مقدّمتهم 'رولان بارت'، وهذا ما نلمسه في أدبيّات حازم القرطاجنّي (ت 648هـ). فالنّصّ من منظور حازم إنتاج المقصديّة (النّيّة) أي أنّه من إنتاج مكوّن بان أو بنية عميقة دالّة تتمظهر في بنية سطحيّة أخرجته إلى فضاء في بنية مكتوبة، إلى سطح ظاهريّ؛ نسيج من الكلمات المنظومة في التّأليف والمنسّقة بحيث تفرض شكلًا معيّنًا مدركًا بالحاسّة البصريّة، غير أنّ النّصّ لم يكن وليد الصّدفة بدون بنية عميقة أو مقصديّة. فهو "يحضر مقصده في خياله وذهنه، والمعاني التي هي عمدة له بالنّسبة إلى غرضه ومقصده، ويتخيّلها تتبّعًا بالفكر في عبارات بدد، ثمّ يلحظ ما وقع في جميع تلك العبارات أو أكثرها طرقًا أو مهيّئًا لأن يصيّرها طرقًا في الكلم المتماثلة الصّالحة لأن تقع في بناء قافية واحدة"[27].

وما يمكن تأكيده هنا أنّ فكرة ظهور أيّ نصّ مرتبطة بمقصديّة النّاصّ (المؤلّف)، ومن هنا نتمثّل ربط القرطاجنّي إنتاجيّة النّصّ بمكوّناته الأدبيّة وغير الأدبيّة، أي بمقصديّة صاحبه التي تشكّل خميرة إنتاج النّصّ، وهذه فكرة متقدّمة جدًا تقول بها كثير من المناهج النّقديّة المعاصرة، في مقدمتها البنيويّة التّكوينيّة وبعض الاتّجاهات السّيميائيّة ونظريّة القراءة التي اعتبرت وجود النّصّ منحصرًا في المقصديّة، "فلم تخلُ كتابة من الإشارة إلى القصد، والقصديّة والمقصديّة"[28].

وإذا كان القرطاجنّي قد وضع في حسبانه عامل المقصديّة في إنتاج النّصّ ووجوده، فإنّ عبد القاهر الجرجانيّ (ت 471 هـ) يضيف في كتابيه الشّهيرين 'دلائل الإعجاز' و'أسرار البلاغة' بعدًا من الأبعاد الأساسيّة في معالم نظريّة النّصّ الأدبيّ في التّراث؛ إنّه نظريّة النّظم، التي تشكّل القاعدة الأساسيّة التي اعتمد عليها لفهم النّصّ من داخله؛ يقول: "واعلم أنّ مثل واضع الكلام مثل من يأخذ من الذّهب والفضّة فيذيب بعضها في بعض حتّى تصير قطعة واحدة...، وكذلك لا تكون الكلم المفردة التي هي أسماء وأفعال وحروف شعرًا من غير أن يحدث فيها النّظم... وكما أنّ محالًا إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته، أن تنظر إلى الفضّة

الحاملة لتلك الصّورة، كما الذّهب الذي وقع فيه العمل وتلك الصّنعة، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزيّة في الكلام أن تنظر في مجرّد معناه"[29].

نستخلص ممّا سبق أنّ فكرة عبد القاهر اتّسمت برؤيتها الشّموليّة لكينونة النّصّ؛ ولو أنّ طرحه كان يخصّ جنس الشّعر. فالنّصّ (سواء أكان شعرًا أم نثرًا) لا بدّ له من منتِج خبير يتقن صناعته وتركيبه. وقد ضرب لنا مثلًا الذّهبَ والفضّة بوصفهما معدنين نفيسين، غير أنّهما يحتاجان إلى مبدع يملك البراعة الفنّيّة التي تمكّنه من تحويل هذا المعدن أو ذاك إلى تحفة فنّيّة. والأمر ينسحب على الكلام؛ فمزيّة النّصّ لا تكمن في معناه، إنّما في طريقة نظمه وتركيبه.

لا شكّ أنّ نظريّة "النظم" (النّصّ) عند عبد القاهر راعت عدّة مبادئ وأهداف منها ما يتعلّق بالباثّ، ومنها ما يتعلق بالمتلقّي. فعلاقة الباثّ بالنّصّ تقوم على المقصديّة التي تكون وراء إنتاجه، أمّا علاقة المتلقّي بالنّصّ فتقوم على تركيب الكلام بما ينسج مع المقامات والأحوال التي تقال فيه. ومن هنا تكون نظريّة النّظم مدخلًا لدراسة "النّصّ". وهذا ما يتأكّد في قولته المشهورة: "واعلم أنْ ليس النّظم إلّا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها "[30].

أدلى الفلاسفة المسلمون بدلوهم في مسألة ماهيّة النّصّ ومفهومه، إذ شكلت الفلسفة الإطار المرجعيّ الذي كان يحكم كثيرًا من النّظريّات اللغويّة والبلاغيّة والنّقديّة، فلا يمكن تمثّل هذه النّظريّات ما لم تربط بمرجعيّاتها الفلسفيّة أو العَقَديّة. فقد لعب الفلاسفة المسلمون دورًا أساسيًّا في دفع الفعاليّة النّقديّة المتّصلة بالنّصّ الشّعريّ وتخريكها، إذ أسهمت آراؤهم ونظريّاتهم الفلسفيّة في تحديد أطر الفكر النّقديّ العربيّ ومرجعيّاته. وكان لهم تأثير واضح في النّقّاد المتأخّرين، وبخاصّة حازم القرطاجنّيّ، والسّجلماسيّ، صاحب كتاب "المنزع البديع في تحسين أساليب البديع" الذي تناول فيه مسائل تتعلّق بالأسلوب والصّياغة الأدبيّة، فضلًا عن تناوله مفهومَ الشّعر وماهيّته من الوجهة اللغويّة.

أكّد الباحث 'ألفت كمال الرّوبي' تأثير الفلاسفة في آراء السّجلماسيّ النّقديّة، ويصعب تمثّلها ما لم تتمّ العودة إلى المكوّن الباني لهذه الآراء النّقديّة، إذ يقول: "وقد أفاد السّجلماسيّ من إنجاز الفلاسفة في تأصيلهم للشّعر عمومًا، (و)... بارتكازه على كثير من الأسس النّظريّة التي وضعوها لكنّه اختلف عنهم في النّظر إلى غاية الفنّ الشّعريّ، ذلك أنّهم ربطوا الشّعر ببنائهم الفلسفيّ الشّامل، ونظروا فيه بوصفه جزءًا من هذا البناء، في الوقت الذي نظر فيه إلى الشّعر في حدّ ذاته منفصلًا عن أيّ سياق"[31]. ونظر السّجلماسيّ إلى النّصّ نظرة البنيويّين الشّكلانيّين، وتتجلّى هذه الرّؤية في مفهومه للشّعر الذي لا يخرج ألبتّة عن مفهومه للنّصّ، وتحديد قوانينه وقواعده العامّة، وفي ذلك يقول عن النّصّ (الشّعريّ) بوصفه الجنس الأدبيّ المهيمن في الممارسة

النّقديّة عند القدماء: "هو الكلام المخيل المؤلّف من أقوال موزونة متساوية، وعند العرب مقفّاة، فمعنى كونها موزونة: أن يكون لها عدد إيقاعيّ، ومعنى كونها متساوية هو: أن يكون كلّ قول منها مؤلّفًا من أقوال إيقاعيّة، فإن عدد زمانه مساوٍ لعدد زمان الآخر، ومعنى كونها مقفّاة هو: أن تكون الحروف التي يُختم بها كلّ قول منها واحدة"[32].

يطلّ علينا الفارابيّ (ت 339 هـ/ 950 م) بمفهومه للنّصّ، والمتمثّل في مجموعة من الأفكار التي يمكن إدراجها ضمن السّياق العامّ للنّقّاد العرب القدماء الذين كانت لهم اهتمامات جادّة تندرج ضمن ما يمكن أن نصطلح عليه التّنظير للنّصّ الإبداعيّ، وبالأخصّ النّصّ الشّعريّ. فالنّصّ مهما كانت طبيعته وجنسه لا بدّ من أن يخضع للصّناعة، وأنّ إنتاجه يقتضي الخبرة والممارسة. وهذا ما ذهب إليه الفارابيّ؛ فركّز على "المحاكاة" (التّخييل) بوصفها العلامة الجوهريّة لما أسماه: "الأقاويل الشّعريّة"، فالشّعر والخطبة والخبر من منظور الفارابيّ صناعة؛ هي مصدر الفصاحة والحكمة والكتابة، حين تتوفّر الظّروف المناسبة لفصحاء الأمّة وبلغائها. اشترط الفارابيّ على الشّعراء التّسلّح بالقوانين التي تمكّنهم من التّحكّم في صناعة الشّعر، وتمكّنهم من "أن يكونوا عارفين بصناعة الشّعراء حقّ المعرفة حتّى لا تندّ عنهم خاصّة من خواصّها، ولا قانون من قوانينها في أيّ نوع شرعوا فيه، ويجوّدون التّمثيلات والتّشبيهات بالصّناعة، وهم المستحقّون اسم الشّعراء المسلجسين"[33].

فالنّصّ والكتابة صناعة، بمعنى أنّهما يقتضيان الممارسة والدّربة والمهارة والإتقان. والفارابيّ في هذا الطّرح يلتقي مع الجاحظ الذي يعتبر الشّعر صناعة، ويحدّد لنا خمسة أنواع من الصّناعات تتفرّع عن صناعة الشّعر، والنّصّ لا يضمن وجوده وبقاءه إلا بالكتابة التي تضمن استمراره وتسجيله لتصحيح ضعف الذّاكرة على حدّ تعبير رولان بارت. ومن ثَمَّ فالنّصّ من منظور الفارابيّ، مهما كان جنسه ونوعه، نظرة لا تخلو من روح علميّة، ما دامت النّصوص كلّها تخضع لمبدأ الصّناعة الذي يقتضي المهارة والدّربة والمعرفة العلميّة الشّاملة لكثير من المعارف التي تسهم في إنتاج النّصّ. فاصطناع الفارابيّ مصطلح "صناعة" يشير إلى أنّ تصوّره لمفهوم النّصّ هو أقرب إلى نظريّة النّصّ الأدبيّ منه إلى النّظرة اللغويّة، فالصّناعة تقتضي الخبرة والممارسة فضلًا عن التّحكّم في التّقنية المنتجة للنّصّ، وهذا ما عبّر عنه رولان بارت بالممارسة النّصّيّة Pratique Textuelle.

أمّا ابن سينا (ت 428 هـ) أحد أعلام الفلسفة الإسلاميّة فكانت له إضافات قيّمة، أسهمت في تحديد هويّة النّصّ ومفهومه، وبالأخصّ "النّصّ" الشّعريّ. وتعدّ آراؤه تأكيدًا وتعزيزًا للآراء السابقة التي أشرنا إليها، فـ "الشّعر كلام مخيل مؤلّف من أقوال موزونة متساوية، وعند العرب، مقفّاة... إلخ"[34].

في سياق هذا التّحليل لمفهوم النّصّ عند الفارابيّ وابن سينا، استوقفنا مصطلح (صناعة) الذي يدلّ به على أنّ إنتاج النّصّ خاضع لمقوّمات ومعايير منهجيّة تحدّد الإطار النّظريّ لصياغته. على أنّ مصطلح (صناعة) شاع استعماله قبل عصر الفارابيّ بكثير، وهذا ما تؤكّده النّصوص النّقديّة التي مرّت بنا في هذا البحث، في أدبيّات الجاحظ: "إنّما الشّعر صناعة وضرب من النّسج وجنس من التّصوير"، وقال ابن رشيق: "وقال الجاحظ: من صنع شعرًا أو وضع كتابًا فقد استهدف، فإن أحسن فقد استعطف، وإن أساء فقد استقذف، وعقول الرّجال في أطراف أقلامها"[35]. يجمع النّقّاد القدماء على أنّ 'صناعة الشعر' (بوصفه نصًّا) عمليّة معقّدة لا يفوز فيها إلّا من أوتي الخبرة والقدرة على الممارسة النّصّيّة، وخاصّة إذا ما تعلّق الأمر بنظم الشّعر. وقد وعى الشّعراء القدماء صعوبة صناعة الشّعر، وأدركوا مستوى تعقيداتها، وفي ذلك يقول الحطيئة:

فالشّعر صعب وطويل سلّمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمـه

زلّت به إلى الحضيض قدمه والشّعر لا يسطيعه من يظلمه[36]

وروى ابن رشيق أنّه سئل صاحب المفضّليّات: "قيل للمفضّل الضّبّي (ت 168هـ)، لم لا تقول الشّعر وأنت أعلم النّاس به؟ قال: علمي به هو الذي يمنعني من قوله. وأنشد:

وقد يقرضُ الشّعرَ البكيّ لسانه وتُعيي القوافي المرءَ وهو لبيبُ

يسوق ابن رشيق نصًّا يحمل قيمة علميّة مهمّة، لابن سلّام الجمحيّ (ت 178هـ)، يؤكّد فيه أنّ الشّعر 'صناعة' Production وكلّ صناعة تقتضي الخبرة والعلم والثّقافة، مؤدّاهُ: "والشّعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصّناعات: فمنها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان"[37]. ومهما يكن من أمر، فقد وعى النّقد العربيّ القديم أهمّيّة صناعة النّصّ الشّعريّ، وهي صناعة نصوصيّة Production Textuelle تقتضي العلم والخبرة والثّقافة والتّجربة، ومن هنا ألحق الشّعر بالصّناعة، أو قل بأنواع الصّناعات. يقول ابن رشيق:" البيت من الشّعر كالبيت من الأبنية، والشّعر قراره الطّبع، وسمكه الرّواية، ودعائمه العلم، وبابه الدّربة وساكنه المعنى"[38].

ويذهب القاضي الجرجانيّ إلى أنّ الشّعر علم، ويرى أنّ النّصّ الشّعريّ تتضافر على نسجه عدّة صناعات اختزلها في مصطلحين: 'العلم' و'الممارسة النّصّيّة'' بالمفهوم المعاصر، والتي سمّاها الدّربة؛ يقول: "الشّعر علم من علوم العرب، يشترك فيه الطّبع والرّواية والذّكاء، ثم تكون الدّربة مادّة له وقوّة لكلّ واحد من أسبابه، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرّز، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان"[39].

وتجدر الإشارة في ختام هذا المحور إلى بعدٍ جديدٍ أضفاه الحاتميّ على مفهوم النّصّ، بعدٍ يمنحه الحيويّة والفعاليّة والتّناسق والانسجام، ذلكم هو مفهوم الجسد؛ فالجسد لا يكون جسدًا إلّا إذا اتّصف بهذه الخصائص التي ذكرها الحاتمي في "حلية المحاضرة" في قوله: "ومن حكم النّسيب الذي يفتتح به الشّاعر كلامه، أن يكون ممزوجًا بما بعده من مدح أو ذمّ، متّصلًا به غير منفصل، فإنّ القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتّصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد من الآخر وباينه في صحّة التّركيب غادر بالجسم عاهة تتخوّن محاسنه وتعفي معالم جماله"[(40)]، ومن هذا المنظور لا يرى الغذاميّ: "فرقا بين الجسد الإنسانيّ والنّصّ، إذ يلتقي كلّ واحد منهما مع صاحبه لأنّهما يشتركان في أعضاء أساسيّة، وكما نجد في الجسد الإنسانيّ (قلبًا) فكذلك في النّصّ مضغة تشبه مضغة القلب في الجسد، وهي ما نسمّيه بِـ (الصوتيم) وهي نواة النّصّ ودلالته الأساسيّة"[(41)].

إنّ التّراث العربيّ القديم، في مختلف حقوله المعرفيّة؛ اللغويّة، والبلاغيّة، والنّقديّة، والفلسفيّة، وعى خصوصيّة النّصّ، وناقش مفهومه مناقشة مستفيضة، وبالأخص النّصّ الشّعريّ، وحاول أن يؤصّله، فوضع آليات ومفاهيم وأدوات تشكّل الإرهاصات الأولى لنظريّة النّصّ الأدبيّ في التّراث العربيّ القديم، وهي النّظريّة التي نراها تتقاطع مع النّظريّة النّصيّة المعاصرة في كثير من مفاهيمها ومبادئها. وأجمع النّقّاد واللغويّون والبلاغيّون على أنّ النّصّ صناعة تقتضي العلم والثقافة والدّربة والذّكاء والممارسة النّصيّة، وهذا الأخير نجده في استعمالات الألسنيّين والنّقّاد الغربيّين المعاصرين وفي مقدمتهم 'ريفاتير' الذي وسم بعض مؤلّفاته النّقديّة بهذا المصطلح، إذ أطلق على مؤلّفه الشّهير: La Production du texte، (صناعة النّصّ) أو (إنتاج النّصّ).

ثانيًا ـ مفهوم النّصّ في الفكر النّقديّ الغربيّ المعاصر

أمّا المحور الثّاني فنتناول فيه الإسهامات المهمّة التي جاء بها الفكر النّقديّ الغربيّ المعاصر، وألقت الضّوء على كثير من الجوانب التي لفّها الغموض لفترات سحيقة في تاريخ الفكر النّقديّ، ونركّزفيه على مفهوم النّصّ والخطاب باعتبارهما المفهومين اللذين تحتضنهما نظريّة النّصّ وأبعادها المنهجيّة والشّكليّة، وعلى جهود 'جوليا كرسيفا'، و'رولان بارت' بصفة خاصّة، بوصفهما علمين من أبرز الأعلام المعاصرين الذين اشتغلوا على دراسة نظريّة النّصّ، ونختم البحث بالوقوف على معالم النّظريّة في الفكر النّقديّ المعاصر، وهي في كثير من جوانبها امتداد للإرث اللسانيّ والنّقديّ والفلسفيّ الإنسانيّ.

1ـ مفهوم النّصّ في الخطاب النّقديّ الغربيّ

1ـ1 الدّلالة المعجميّة لمصطلح النّصّ

انسجامًا مع خطّتنا المنهجيّة السّابقة، رأينا من المفيد أن نستهلّ هذا المحور بالبحث عن الدّلالة اللغويّة لكلمة 'نصّ' Texte لنتمكّن من العبور إلى الدّلالة الاصطلاحيّة، ومن ثمّ إجراء مقارنة بين دلالة كلمة 'نصّ' عند العرب ودلالة كلمة Texte عند الغرب. تتضمّن المعاجم الغربيّة وبخاصّة الفرنسيّة منها، مصطلحين: texte , text، وهما مأخوذان من كلمة: texture التي تعني النّسيج: Tissu، المشتقّة من: Textur، بمعنى نسج، وكلمة Textuaire، تدلّ على الكتاب الذي لا يتوفّر إلّا على النّصوص. وتدلّ صفة: Textuel (elle) على الجملة المنقولة لفظة بلفظة. أمّا لفظة: Texte '، فهي تدلّ على الكتابات الأدبيّة الكلاسيكيّة "[42].

أمّا الأصل اللاتينيّ لكلمة texte (النّصّ) فإنّه يدلّ على النّسج، وكأنّ النّصّ قطعة من قماش يتمّ نسجه عن طريق الكلمات، كما يدلّ على دلالة الجهد والقصد، فالنّسج يقتضي جهدًا معيّنًا وقصديّة معيّنة لإنجاز هذا النّسج: "أفليس النّسج مجموعة من العمليّات التي يتمّ بمقتضاها ضمّ خيوط السّدى إلى خيوط اللحمة لنتحصّل على نسيج ما يعتبر تتويجًا لهذه العمليّات؟ ثمّ ألا يعني النّسج بمعناه الواسع الإنشاء والتّنسيق في ضمّ الشّتات والتّنضيد"[43].

وإذا ما حاولنا التّقريب بين الدّلالة المعجميّة لكلمة 'نصّ' في المعاجم العربيّة، ودلالة كلمة Texte في المعاجم الفرنسيّة، فإنّنا نجد تقاربًا وتباعدًا بين الدّلالتين في الآن نفسه؛ ففي المعاجم العربيّة - كما رأينا في المحور الأوّل - تبرز دلالة الظّهور والرّفعة والاستواء، أمّا الدّلالة التي تضمّنتها المعاجم الغربيّة فتشير إلى النّسج والجهد والقصد، وهي دلالات تبدو بعيدة عن الدّلالات التي وردت في المعاجم العربيّة، إلّا أنّها تتقاطع معها في أحيان كثيرة؛ فالتماس النّصّ يعني بروزه وظهوره واستواءه، وفي الوقت نفسه فإنّ دلالة البروز والظّهور والاستواء لا تتحقّق إلّا عن طريق نسج الكلمات، وضمّ بعضها إلى بعض بطريقة محبوكة يسوسها جهد ومقصديّة. وقد حاول منذر عيّاشي التّقريب بين المعنى الحداثيّ للنّصّ، والتفسيرات المعجميّة العربيّة: "فالنّصّ دائم النتاج لأنّه مستحدث بشدّة، ودائم التخلّق لأنّه دائمًا في شأن ظهورا وبيانا، ومستمر في الصّيرورة لأنّه متحرّك وقابل لكلّ زمان ومكان، لأنّ فاعليّته متولّدة من ذاتيّته النّصيّة، وهو إذا كان كذلك، فإنّ وضع تعريف له يعتبر تحديدًا يلغي الصّيرورة فيه، ويعطّل في النّهاية فاعليّته النّصيّة"[44].

ويؤكّد 'الأزهر الزّنّاد' مسألة التّقارب والتّباعد بين الدّلالة العربيّة لكلمة 'نصّ' والدّلالة الغربيّة لكلمة Texte، فيقول: "فالنص علامة كبيرة ذات وجهين، وجه دالّ ووجه مدلول، ويتوفّر في مصطلح 'النصّ' في العربيّة، وفي مقابله في اللغات الأجنبيّة 'texte' معنى النّسيج. فالنّصّ

نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كلّ واحد، هو ما نطلق عليه مصطلح 'نصّ'"[45].

2.1 مفهوم النّصّ في الخطاب النّقديّ الغربيّ

إنّ المستقرئ للدّراسات المتخصّصة في نظريّة النّصّ، أو علم النّصّ، أو لسانيّات النّصّ، أونظريّة الأدب للنّصّ، ليس بمقدوره أن يتوصّل إلى تحديد تعريف للنّصّ تحديدًا دقيقًا، أو قريبًا من الدّقّة. فهو من المفاهيم الإشكاليّة ذات الطّبيعة الصّعبة؛ لسبب بسيط هو أنّ النّصّ ذو بنية متجدِّدة ومتغيِّرة، سواء تعلّق الأمر بالنّصوص الإبداعيّة أو بغيرها، فالنّصّ تتنازعه اختصاصات متعدّدة تستأثر بمفاهيمها المختلفة، ومن هنا افتقدنا إلى النّصّ "النّموذجيّ" الذي يحتضن كلّ المكوِّنات المتخصِّصة، فهو ما يزال في طور التّكوين إلى اليوم، ومن ثَمَّ تنوّعت تعريفات النّصّ، "هذا التّنوّع.. يدلّ على عدم استقرار المفهوم من جهة، وتباين طرقه الإجرائيّة في حقول معرفيّة مختلفة من جهة أخرى"[46].

يطرح مفهوم النّصّ في الدّراسات اللسانيّة والنّقديّة الحديثة إشكاليّة زئبقيّة؛ لما أفرزه هذا المفهوم من استعمالات مختلفة ومتباينة ومتضاربة، ذلك أنّ المفهوم شاع استعماله في حقول معرفيّة شتى، منها اللسانيّات والأسلوبيّة والنقد الأدبيّ... وغيرها من الحقول التي لها خلفيّات معرفيّة وفكريّة كثيرة ساستْ هذا الاختلاف والتّباين في المفاهيم وفي تعدّد المعايير، ومن هنا يطرح مفهوم النّصّ إشكاليّة معقّدة يشير إليها الباحث G.L.Houdbine في قوله: "إن البحث عن تعريف لمفهوم النّصّ وقضاياه في الدّراسات النّقديّة الحديثة أمر صعب نظرًا لتعدّد معايير هذا التّعريف ومضامينه، وخلفيّاته المعرفيّة في علم اللسانيّات، والأسلوبيّة، وتعدّد الأشكال والمواقع والغايات التي اشترطها المنظّرون في ما نطلق عليه مصطلحيًّا: 'النّصّ'[47]. ويؤكّد الباحث 'حسن واد' الطّرح السّابق لمفهوم النّصّ حين يقول: "النّصّ الأدبيّ في أبسط مظاهره (كلام)، ولأنّه كذلك، وجدت العلوم المهتمّة بالأفراد طريقها إليه... والنّصّ الأدبيّ يبدعه فرد منغرس في الجماعة، ويتوجّه به إلى مجموع القرّاء. لذلك تناوله علم الاجتماع بالدّرس، وهكذا إلى آخر العلوم الإنسانيّة علمًا، لكلّ منها طريق تسلكه إلى الظّاهرة الأدبيّة فتمتحن مناهجها عليها"[48].

وفي النّصوص النّقديّة التّالية، تتمظهر الطّروحات النّظريّة لمفهوم النّصّ في الفكر النّقديّ المعاصر. فالنّصّ من منظور رولان بارت نسيج من الكلمات يختفي وراءه المعنى، وما نظريّة النّصّ إلّا علم نسيج العنكبوت، وقد اعتبر هذا النّسيج دائمًا إلى الآن على أنّه نتاج وستار جاهز يكمن خلفه المعنى (الحقيقيّ)، ويخفي بهذا القدر أو ذاك، فإنّنا الآن نشدّد داخل النّسيج على الفكرة التّوليديّة التي ترى النّصّ يصنع ذاته ويعمل ما في ذاته عبر تشابك دائم: تنفكّ الذات وسط هذ النّسيج، ضائعة فيه، كأنّها عنكبوت تذوب هي ذاتها في الإفرازات المشيّدة لنسيجها، ولو أحببنا

استحداث الألفاظ لأمكننا تعريف النّصّ بأنّه علم نسيج العنكبوت"[49]. يعطي رولان بارت مفهومًا أوسع للنّصّ، فهو لا يتحقّق بموضوعه أو بمضمونه، بل هو مجموعة من الإشارات العائمة اللامتناهية القابلة للتّنقّل عبر نصوص أخرى، وهذا ما تشير إليه الفقرة التالية: "فهو(النّصّ) ليس موضوعًا ولكنّه عمل واستخدام، وليس مجموعة من الإشارات المغلقة المحمّلة بمعنى يجب العثور عليه، ولكنّه حجم من الآثار التي لا تكفّ عن الانتقال"[50].

لم يتوصل الباحثون في علم النّصّ واللسانيّات، والنّقد الأدبيّ إلى صياغة مفهوم دقيق أو قريب من الدّقّة للنّصّ، ومسوّغ ذلك ــ ولو بصفة مؤقّتة ــ أنّه خاضع في رؤيته إلى حقول معرفيّة متعدّدة تحكمها مرجعيّات فكريّة وفلسفيّة عديدة. ومن هنا نفهم مقولة 'بول ريكور Paul.Ricœur' التي جاء فيها: "لنسمِّ نصًّا كلّ خطاب تثبّته الكتابة. تبعًا لهذا التّعريف، يكون التّثبيت بالكتابة مؤسِّسًا للنّصّ نفسه. لكن ما الذي ثُبِّتَ على هذا النّحو بالكتابة؟ سبق أن قلنا: كلّ خطاب. هل يعني هذا أنّ على كلّ خطاب أن يُنطَقَ في البداية ماديًّا أو ذهنيًّا؟ أنّ كلّ كتابة كانت في البداية، ولو على وجه الاحتمال، كلامًا؟"[51]. ويمكن أن نخلص من ذلك إلى أنّ مفهوم النّصّ له بعدان كبيران: أحدهما استاتيكيّ (ثابت)، والآخر ديناميكيّ (متحرّك) وبوسع التّحليل تتبّع هاتين الظّاهرتين. على أنّ التّصوّرات النّصيّة لا تقوم كلّها في مستوى واحد، بل هناك درجات عديدة للتّناصّ، يمكن أن يقودنا إليها التّحليل النّصّيّ".

وإذا كان النّصّ عند 'بول ريكور' علامة تتكوّن من دوالّ ثابتة، ومدالولات متحرّكة، تثبّته الكتابة، ومرتبطًا بها في التّشكيل، فلا وجود له إلّا بها، فإن 'توردورف T. Todorov' يقترح مفهومًا للنّصّ انطلاقًا من رؤيته الشّكلانيّة البنيويّة التي ترى أنّ استقلاليّة النّصّ في انغلاقه، وأنّه لا يرتبط بتشكيل محدود أو معيّن، فهو يلتقي مع الجملة، مثلما يلتقي مع كتاب بأكمله، يتحدّد بواسطة استقلاليّته وانغلاقه، ويشكّل النّصّ نسقًا لا ينبغي مطابقته مع النّسق اللسانيّ، ويمكن وضعه في علاقته معه وبألفاظ "هيلمسليفيّه"، إنّ النّصّ نظام إيحائيّ، لأنّه ثانٍ إزاء نظام آخر للدّلالة"[52].

أمّا 'جوليا كرستيفا' فإنّها لا تفصل مفهوم النّصّ عن مفهوم التّناصّ، وكأنّهما متداخلان. فالنّصّ في نظرها يعيد توزيع اللغة مع الملفوظات السّابقة والمعاصرة، فهو من هذا المنظور "جهاز عبر لسانيّ، يعيد توزيع نظام اللسان عن طريق ربطه بالكلام التّواصليّ راميًا بذلك إلى الإخبار المباشر مع مختلف أنماط الملفوظات السّابقة والمعاصرة"[53]. واستنادًا إلى ذلك، فإنّ النّصّ كما يراه 'صلاح فضل' عمليّة إنتاجيّة تعني أمرين: الأوّل أنّ علاقة النّصّ باللغة التي يتموقع داخلَها علاقة إعادة توزيع - عن طريق التّفكيك وإعادة البناء - وهو ما يجعله قابلًا لأن يُتناول من خلال المقولات المنطقيّة لا اللسانيّة. والثّاني أنّ النّصّ ترحال للنّصوص، أي أنّه يمثّل عمليّة

استبدال من نصوص أخرى، ففي فضاء النّصّ تتقاطع أقوال عديدة، متقطّعة من نصوص أخرى، ما يجعل بعضها يقوم بتجديد بعض الآخر[54].

وبانتقالنا إلى 'رولان بارت'، وهو أحد روّاد نظريّة النّصّ، فإنّ مفهومه للنّصّ تجسيد لنظام اللغة، يأخذ في الحسبان تأثير الفكر البنيويّ عليه؛ فـ "إنّ النّصّ يساهم في إفراز القيمة المعنويّة للأثر، فهو خادمه البسيط، ولكن لا غنى عن خدماته. ولما كان النّصّ تقريبًا على صلة تكوينيّة بالكتابة... لأنّ صورة الحروف ذاتها بالرّغم من أنّها تظلّ خطّيّة إلّا أنّها توحي أكثر من الكلام بتشابك النّسيج... فإنّه هو المولّد ـ في الأثر ـ لضمان الشّيء المكتوب الذي ينهض بوظائف صيانته، وذلك من ناحية الثّبات والتّسجيل الدّائم الهادف إلى تجاوز ضعف الذّاكرة وأخطائها، وهو من ناحية أخرى تأكيد لشرعيّة الحرف والأثر السّاطع الذي لا يمّحي للمعنى الذي أودعه صاحب الأثر عن قصد في النّصّ. إنّ النّصّ سلاح في وجه الزّمن والنّسيان وخُدَع (بضم الخاء وفتح الدال) الكلام الذي سرعان ما يتراجع ويتلاشى ويتنكّر لنفسه. إنّ فكرة النّصّ مرتبطة بعالم بأسره من المؤسّسات: الشّرائع، الكنيسة، الأدب، التّعليم؛ النّصّ موضوع أخلاقيّ، فهو المكتوب ما دام يشارك في العقد الاجتماعيّ. إنّه يُلزم ويقضي بأن نضعه نصب العين ونحترمه، ولكنّه في المقابل يسمُ اللغة بصفة لا تقدّر بثمن... إنّها صفة السّلامة"[55].

وإذا كان 'رولان بارت' و'ج. كرستيفا' يوليان الوحدة الدّلاليّة والقيمة المعنويّة للنّصّ أهمّيّة، كما رأينا، فإنّ 'غريماس' لا يذهب مذهبهما؛ إذ إنّ النّصّ، في منظوره، لا يولّد المعنى؛ لأنّه معطًى سابقٌ في الوجود. ولا شكّ أنّ هذه الرّؤية الغريماسيّة للنّصّ مرتبطة برؤيته السّيميائيّة التي أوحت إليه بذلك. فـ "توليد الدّلالة لا يمرّ عبر إنتاج ملفوظات منتظمة داخل خطاب، فالدّلالة تستند في وجودها إلى البنيات السّرديّة التي تنتج الخطاب الذي يفترض فيه أنّه يتمفصل في ملفوظات"[56]. والواقع فإنّ طرح 'غريماس' - وإن كنّا نقبله افتراضًا - لا يمكن الأخذ به كاملًا، إلّا في حالات محدودة؛ حينما يصعب تبليغ بعض القيم المجرّدة، فنستعيض لذلك بالتّمثيل أو القصّة والتّشخيص، ويبقى النّصّ في عمومه ابتكارًا جماليًّا ومعنى مقصودًا.

إن كان افتراض 'غريماس' عدم توليد النّصّ للمعنى، لأنّه معطًى سابق للوجود، فإنّ النّصّ عند 'أمبرتو إيكو' ينفتح على كلّ التّفسيرات والتّأويلات المحتملة، وهو ما يصطلح عليه 'النص المفتوح' الذي "يمنح متلقّيه القدر نفسه من الحرّيّة أو أقلّ منه قليلًا، ليتمكّن من التّموقع وسط شبكة من العلاقات النّصّيّة"[57]. غير أنّ النّصّ في هذه الحالة لا يعود ملكًا لمؤلّفه، وإنّما يغدو ملكًا للقارئ، يقرأه حسب قدرته ومرجعيّته ومعجمه الذي يتضمّن مفردات لها تاريخها الخاصّ، وهذا يجعل النّصّ مفتوحًا على قراءات جديدة متنوعة الدّلالة، قد لا تخطر على بال صاحبها الذي أبدعه، ومن هنا يخلص إيكو "إلى التّأكيد على أنّ جزءاً ضخمًا من الإنتاج الأدبيّ المعاصر ـ

بل ومن الإنتاج الإنسانيّ ـ يكون مفتوحًا بدون قصد على التّفاعل الحرّ للقارئ، لأنّه يقوم على أساس الرّمز، فهو مفتوح على التّفاعلات والتّأويلات"[58].

نخلص من تحليلنا لمفهوم النّصّ أنّه لا تعريفَ دقيقًا وشاملًا له، فتحديد أيّ تعريف قد يوقف الصّيرورة النّصيّة التي لم تكتمل دورتها إلى اليوم، وقد عبّر منذر عيّاشي عن إشكاليّة التّعريف هذه بقوله: "إنّ وضع تعريف للنّصّ يعتبر تحديدًا يلغي الصّيرورة فيه، ويثبت إنتاجيّته على هيئة نمطيّة لا يكون فيها زمانًا للمتغيّرات الأسلوبيّة والقرائيّة أثر، ويلغي قابليّته التّوليديّة زمانًا ومكانًا، ويعطّل في النّهاية فاعليّته النصيّة"[59].

ويؤكّد 'يوسف نور عوض' الفكرة التي أومأنا إليها ـ على لسان 'دوبوجراند' ـ من أنّه لا وجود لمفهوم دقيق للنّصّ، حيث يقول: "يذكر (دوبوجراند) في بداية تأريخه لعلم النّصّ رأيًا لِـ "فان دايك" يقول فيه: لا يخضع علم النّصّ لنظريّة محدّدة أو طريقة مميّزة، وإنّما يخضع لسائر الأعمال في مجال اللغة التي تتّخذ من النّصّ مجالًا لبحثها واستقصائها، ويعني ذلك ألّا نتوقّع في دراساتنا لتاريخ علم النّصّ أن تُبرز نظريّة واحدة، أو اتجاهًا محدّدًا، وإنّما يجب أن نتّجه نحو سائر الأعمال التي أسهمت في إبراز هذا المجال الحيويّ في دراسة اللغة"[60].

3.1 مفهوم النّصّ عند النّقّاد العرب المحدثين

لا يستقيم الطرح المنهجيّ لمعالجة إشكاليّة 'مفهوم النّصّ' في الفكر الغربيّ المعاصر، ما لم نعرّج على إسهامات النّقّاد العرب المعاصرين، التي لا يمكن التّغاضي عنها أو تجاوزها؛ لما تتضمّنه من طروحات واعدة. ولمناقشة هذه المسألة حدّدنا متنًا يضمّ طائفة من الباحثين العرب الذين أدلوا بإسهاماتهم المميّزة، ونذكر منهم: محمّد مفتاح، عبد الله الغذّامي، صلاح فضل، منذر عيّاشي، وشكري الماضي.

إنّ المتأمّل في المفهوم الذي اقترحه 'محمّد مفتاح' للنّصّ، يجد أنّه استوحى عناصره من الدّراسات اللسانيّة والأسلوبيّة التي تعكس توجّهات معرفيّة ونظريّة ومنهاجيّة مختلفة في الخطاب النّقديّ الغربيّ، وقد وفّق بينها جميعًا، واستخلص المقوّمات الجوهريّة الأساسيّة الآتية:

ـ مدوّنة كلاميّة، يعني أنّه مؤلّف من الكلام وليس صورة فوتوغرافيّة أو رسمًا أو عمارة أو زيًّا.

ـ حدث: إنّ كلّ نصّ هو حدث يقع في زمان ومكان معيّنين لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله في ذلك مثل الحدث التاريخيّ.

ـ تواصليّ: يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجارب ... إلى المتلقّي.

- تفاعليّ: على أنّ الوظيفة التّواصليّة - في اللغة - ليست هي كلّ شيء، فهناك وظائف أخرى للنّصّ اللغويّ أهمّها الوظيفة التّفاعليّة التي تقيم علاقات اجتماعيّة بين أفراد المجتمع وتحافظ عليها.
- مغلق، ونقصد انغلاق سمته الكتابيّة الأيقونيّة التي لها بداية ونهاية.
- توالديّ: إنّ الحدث اللغويّ ليس منبثقًا من عدم، وإنّما هو متولّد من أحداث تاريخيّة ونفسانيّة ولغويّة... وتتناسل منه أحداث لغويّة أخرى لاحقة له. فالنّصّ إذن مدوّنة حدثٍ كلاميّ ذي وظائف متعددة[61].

وإذا كان محمّد مفتاح قد حدّد مفهومه للنّصّ في هذه المكوّنات الأساسيّة التي تجعل تصوّره له نصًّا لا يلغي صيرورته ولا قابليّته التّوليديّة، فإنّ النّصّ في تصوّر عبد الله الغذّامي شعلة وهّاجة لا تكاد تنطفئ، فهي دومًا في انتظار من يشعلها ويقوّي فتيلها. ومن هنا يذهب الغذّامي إلى أنّ "النّصّ الأدبيّ هو بنية لغويّة مفتوحة البداية ومعلّقة النّهاية، لأنّ حدوثه نفسيّ لا شعوريّ، وليس حركة عقلانيّة، ولذلك فإنّ القصيدة لا تبدأ كما تبدأ أيّ رسالة عاديّة تصدر بخطاب موجّه إلى المرسل إليه، وتختتم بخاتمة قاطعة التّعبير. إنّ القصيدة تبدأ منبثقة كانبثاق النّور أو كهطول المطر وتنتهي نهاية شبيهة ببدايتها، وكأنّها تتلاشى فقط وليس تنتهي"[62].

للاتّجاه البنيويّ الشّكلانيّ حضور قويّ في تصوّر الغذّامي للنّصّ، بل إنّنا نجده يستمدّ مجمل عناصره من مقولات 'ج بياجي' في تعريفه للبنية (راجع كتاب البنيوية لِـ: بياجي) فالنّصّ في نظره بنية شموليّة متحرّكة... وهذا ما استوحاه في تعريفه للنّصّ حينما يقول: إنّه "كلّيّ في حركة مرحليّة لأنّه نصّ بنيويّ، والبنية شموليّة متحوّلة ذات حكم ذاتيّ، والنّصّ يتحرّك داخليًّا بحركة مفعمة بالحياة كي يكوّن بنية الوجوديّة، ليكون له هويّة تميّزه، فإذا ما تميّز فإنّه يتحرّك كاسرًا لحواجز النّصوص ليدخل مع سواه في سباق يسبح فيه كما تسبح الكواكب في مجرّاتها"[63].

إنّ المستقرئ لجهود عبد الله الغذّامي ولكتاباته النّقديّة يدرك تأثّره، أيضًا، بأفكار 'رولان بارت' و'ليتش' حيث يحضر الأوّل بقوّة وخاصّة فيما يتعلّق بتصوّره لمسألة 'النّصّ والعمل/ الأثر'، فضلًا عن تأثّره بنظريّة التّناصّ التي كانت ماثلة بوضوح في أدبيّاته من مثل: الاقتباسات المتداخلة، الإرجاعات، الأصداء من اللغات الثّقافيّة، والانتشار، وغيرها من المفاهيم التي استعارها عن (ليتش) حين لخّص أفكار بارت: "يتمّ التّفاعل مع النّصّ في فعاليّة شاملة من العطاء اللغويّ وذلك نقيض (العمل) الذي هو تقليديّ، ويتحدّى النّصّ كلّ الحواجز العقلانيّة والقرائيّة وقواعدهما، وبذلك يتجاوز كلّ التّصنيفات والطّبقات التّقليديّة، كما يتمثّل النّصّ في التّحويل اللامحدود للمدلولات من خلال التّحرّك الحرّ للدّالّ الذي يفلت بطاقة لا تحدّ، ولذا فهو غير قابل

للانفلات أو التّمرّد... ولذا فالنّصّ يستجيب للانتشار فقط Dissémination (أي ينتشر في النّصوص اللانهائيّة التي تداخلت معه)[64].

وفي السّياق ذاته يميّز عبد الله الغذّامي بين النّصّ والأثر، وهو المصطلح الذي استعاره من 'دريدا' الذي يقصد به "القيمة الجماليّة" التي تسعى إليها النّصوص الأدبيّة، ويتمظهر في تشكيل الكتابة التي تصبح ذات قيمة جماليّة مستهدفة. وتتحوّل الكتابة في الأخير إلى حوار بينها وبين اللغة، وفي هذا الصّدد يقول: "والأثر هو التّشكيل النّاتج عن (الكتابة)، وذلك يتمّ عندما تتصدّر الإشارة الجملة، وتبرز القيمة الشّاعريّة للنّصّ، ويقوم النّصّ بتصدّر الظّاهرة اللغويّة، فتتحوّل الكتابة لتصبح هي القيمة الأولى هنا"[65]. وأدرك الغذّامي الفرق بين النّصّ والأثر. فالأثر ليس هو النّصّ لكنّه منبثق من صلبه، بل قل إنّه مدلوله ودلالته الظّاهرة والمضمرة، "ومن هنا جاء 'دريدا' ليقدّم (الأثر) كبديل لإشارة 'دي سوسير' وهو يطرحه كلغز غير قابل للتّحجيم، ولكنّه ينبثق من قلب النّصّ كقوّة تتشكّل بها الكتابة، ويصير(الأثر) وحدة نظريّة في فكرة النّحويّة [الكتابة] وترتكز الفكرة بكلّ طاقتها عليه، ومن خلالها تنتعش الكتابة"[66].

يطرح 'شكري الماضي' فكرة مهمّة، هي قدرة النّصّ على خلخلة التّصنيفات والحدود والتّقسيمات، وما الأجناس أو الأنواع الأدبيّة التي عرفناها إلّا تصنيفات مؤقّتة. فالنّصّ لا يقبل التّصنيف والخضوع الدّائم تحت مسمّى معين، وقد أشار شكري الماضي إلى هذه المسألة، وحاول أن يجد تفسيرًا لعدم انصياع النّصّ للتّصنيف والتّحديد، فيقول: "فالأثر الذي يوجد على الحدود (حدود الأخبار الأدبيّة المعروفة) هو نصّ. فالنّصّ/ كتابة، يضع نفسه وراء الرّأي السّائد، إنّه بدعة وخروج عن حدود الرّأي السّائد، والكتابة لا تعني رسم الأصوات اللغويّة ولا مجرّد الرّبط بين العبارات بل تعني ـ على حدّ تعبير رولان بارت ـ أن نضع أنفسنا فيما يطلق عليه اليوم التّناصّ، أي أن نضع لغتنا وإنتاجنا الخاصّ للّغة ضمن لانهائيّة اللغة. أي ضرورة الاختفاء – اختفاء الذّات الفاعلة/ الكاتبة في اللغة والأدب عنده ـ وهو يفضّل أن يسمّيه كتابة ـ وهو دومًا خلخلة، أي ممارسة تهدف إلى زعزعة الذّات الفاعلة وتشتيتها في ذات الصّفحة. فلا وجود للمؤلّف إلا لحظة الإنتاج/ الكتابة، وليس قطّ لحظة ينتهي الإنتاج، فالكاتب بعد أن ينتهي ينفصل عن النّصّ"[67].

يشير مفهوم النّصّ إلى قضيّة أخرى تتّصل به اتّصالًا وثيقًا، وهي الكتابة والقراءة. فالنّصّ مرتبط بالكتابة أصلًا، فلا يكون النّصّ نصًّا إلّا بآليّة الكتابة التي تبعثه إلى الوجود، وبات مستحيلًا أن نتحدّث عن نصّ ليس مكتوبًا، إذ أصبحت الكتابة والنّصّ وجهين لعملة واحدة، إلّا أنّ عمليّة الكتابة أفرزت قضيّة أخرى وهي القراءة. فالكتابة هي التي تدفع النّاس إلى القراءة، ومن هذا الباب يتحقّق الوجود الفعليّ للنّصّ بواسطة القراءة التي تعيد نفسها من جديد من خلال النص / الكتابة، ويحتم أن تكون رؤيتنا للقراءة إنتاجية لا استهلاكية.

ولا يفوتنا، ونحن بصدد مناقشة إشكاليّة النّصّ والكتابة والقراءة، أن نستحضر النّصّ المهمّ الذي عرض فيه 'بول ريكو' المسألة بدقّة وإسهاب، وجاء فيه: "لنقل النّصّ هو حديث جعلته الكتابة ثابتًا... التّثبيت بواسطة الكتابة يشكّل النّصّ بالذّات. ويؤكّد أنّ الكتابة كمؤسّسة هي لاحقة للكلام، ويبدو دورها في تثبيت كلّ التّمفصلات التي سبقت وظهرت بطريقة شفهيّة، بواسطة خطوط أفقيّة، والاهتمام الكلّيّ تقريبًا للكتابة الملفوظة يبدو كأنّه تأكيد بأنّ الكتابة لا تضيف شيئًا على ظاهرة الكلام سوى التّثبيت الذي يسمح بالمحافظة عليه"[68].

ثالثًا ـ نحو نظريّة النّصّ الأدبيّ في النّقد المعاصر

أثارت "نظريّة النّصّ" أسئلة كثيرة تتعلّق أساسًا بالمفهوم ومكو?ناته وامتداداته ومرجعيّاته، فلا يمكن أن نتمثّل ذلك إلا بربط المفهوم بالحقول المعرفيّة المتّصلة به، سواء تعلق الأمر بميدان اللسانيّات أو نظريّة الأدب بوصفها الحقول المركزيّة التي لها علاقة بتطوّر نظريّة النّصّ.

إنّ التّطوّر المدهش الذي عرفه الفكر النّقديّ الحديث وتغيّر أنساقه، أمر مكّن النّقّاد والباحثين المتطلّعين إلى التّجديد من التّخلّص من قيود الممارسات النّقديّة التّقليديّة التي هيمنت على النّقد ردحًا طويلًا من الزّمن، وتجاوزها في الاهتمام بالنّصّ نفسه، "وبهذه النّقلة تجاوز الاهتمام بالكتابة وظروف ولادة النّصّ إلى العناية بالنّصّ ذاته والنّظرة إلى الأدب كمنظومة سيميائيّة ومجموعة من العلامات والعلاقات المتبادلة الأدوار والمتفاعلة فيما بينها. ومن ثَمّ تمّ التّأسيس ل 'نظريّة النّصّ' بديلًا ل 'نظريّة الأدب' التّقليديّة التي مارست نوعًا من التّمييز الاعتباطيّ بين الأجناس الأدبيّة"[69]. وما يمكن استخلاصه، أنّ 'نظريّة النّصّ' هي امتداد وتطوّر طبيعيّ لنظريّة الأدب التي لم تهتمّ بمكوّنات النّصّ الجماليّة. وأكّد هذه الفكرة الباحث حسين خمري في قوله: "وقد جاءت نظريّة النّصّ لإصلاح بعض المنظورات النّقديّة والسّياقات الفلسفيّة التي تناولت الخطاب الأدبيّ، وكردّ فعل على التّصلّب المنهجيّ والنّقد الرّاديكاليّ على مفهوم النّصّ كمقولة أدبيّة أساسيّة"[70].

ومن هنا نتمثّل 'نظريّة النّصّ' بوصفها نظريّة إصلاحيّة للموروث النّقديّ التّقليديّ الذي أهمل النّظر في طبيعة النّصّ باعتباره الحقيقة الأدبيّة والنّقديّة. وإن كانت نظريّة النّصّ امتدادًا وتطوّرًا للنّظريّة الأدبيّة، فإنّ للأولى علاقة وُثقى ب "علم النّص" الذي يعدّ الحقل الإمبريقيّ لها، لذا فـ "علم النّصّ الذي يمكن النّظر إليه على أنّه الممارسة التّطبيقيّة لنظريّة النّصّ يسعى بكلّ الوسائل لأن يجد لنفسه مكانة داخل نسق العلوم والتّبادل التّطبيقيّ بينهما فيساهم في بلورة نظرية للمعرفة"[71].

إنّ تحديد العلاقة بين 'علم النّصّ' و'نظريّة النّصّ'، ينبغي ألّا تغفلنا عن تمثّل الصّلة ب 'علم النّصّ' و'نظريّة الأدب' لتواشج المفاهيم وتداخلها، وإنّ التّعرّف عليها يمكّننا من تحديد

حقلها المنهجيّ والمعرفيّ في تعاطيها مع النّصّ من وجهتها". إذا كان علم النّصّ يحدّد موضوعه بدراسة بنيات نصّ معيّن أو مجموعة من النّصوص وتحليل مختلف مستوياتها، فإنّ "نظريّة الأدب" تهتمّ بالنّصّ من حيث هو منتج ثقافيّ، وتحلّل ظروف وشروط إنتاجه وطريقة تداوله داخل نظام ثقافيّ وسياق حضاريّ مخصوص، وتهتمّ بالنّصّ وسياقاته المختلفة"[72].

وإذا كانت العلاقة بين 'علم النّصّ' و'نظريّة النّصّ' ـ كما بيّنا آنفًا ـ تعدّ علاقة طبيعيّة، فإنّ العلاقة بين 'نظريّة الأدب' ونظريّة النّصّ' هي أوضح ممّا نتصوّر، فكلتاهما تهتمّ بالنّصّ من حقل منهجيّ محدّد يختلف عن الآخر، ولو أنّ الأولى (نظريّة الأدب) ليس لها اهتمامات النّظريّة الثّانية نفسها، بسبب امتداد اهتمامها "إلى السّياق الأدبيّ الذي يحيط بالنّصّ"[73].

ولا غرو في ذلك؛ فإنّ 'النّظريّة الأدبيّة' نشأت في أحضان الفكر السّياقيّ الذي لم يخرج عن علم الاجتماع، والتّاريخ، وعلم النّفس، وعلم الجمال. أمّا نظريّة النّصّ فهي التّطوّر الطّبيعيّ 'لنظريّة الأدب'، " ويعود هذا إلى تطوّر المشهد النّقديّ الذي اكتسحته اللسانيّات وعلوم اللغة والسّيميائيّات، وقد بدأ هذا المفهوم يمّحي لحساب مفهوم جديد هو 'نظريّة النّصّ' و'علم النّصّ'"[74].

هذا لا يعني أنّ نظريّة النّصّ قد خرجت عن وظيفتها، وهي نقد النّصوص؛ إنّها نظريّة نقديّة بامتياز، والشّاهد في ذلك أنّ رولان بارت ـ وهو أحد فرسان هذه النّظريّة ـ قد أكّد الوظيفة النّقديّة للنّظريّة في قوله: إنّ "نظريّة النّصّ هي حتمًا نظريّة نقديّة ومراجعة للخطاب العلمويّ، ولهذا السّبب فإنّها تدش تحوّلًا علميًّا حقيقيًّا، لأنّه إلى الآن لم تقم العلوم الإنسانيّة بنقد خطابها الذّاتيّ معتبرة إيّاه مجرّد أداة أو وسيلة لخدمة غرضها"[75]. ويذهب أنور المرتجي إلى أبعد من ذلك، فيرى أنّ نظريّة النّصّ تتقاطع مع السّيميائيّات التي تهتمّ بدراسة العلامة، وأنّ الاهتمام بهذه الأخيرة هو اهتمام بالنّصّ، لذا فإنّ "نظريّة النّصّ تلتقي مع السّيميائيّات كونهما يمثّلان نقدًا للغتهما الذّاتيّة"[76].

لا شكّ أنّ الجزئيّة السّابقة، التي ناقشنا فيها مفهوم النّصّ في الخطاب النّقديّ العربيّ بشقّيه: التّراثيّ والحداثيّ، تشكّل خطوة منهجيّة لبسط القول في نظريّة النّصّ الأدبيّ، سواء على مستوى البحث اللسانيّ، أو البحث النّقديّ. وينبغي أن نشير، بداية، إلى أنّ النّظريّة النّصّيّة تدين بجهود علماء اللغة وفي طليعتهم 'ف. ديسوسير' و'رومان جاكبسون' و'إميل بنفينيست'. فقد مهّد الأوّل الطريق للنّظريّة الدّلاليّة، أمّا الثّاني فقد رسّخ فكرة استقلاليّة الظّاهرة الإبداعيّة، والثالث طوّر فكرة الشّعريّة المقارنة والقراءة. "وقد شكلت إنجازات هؤلاء الروّاد فيما يعرف اليوم بالمنهج البنائيّ. وفتحت النظرية النصية بعد هذا الدّور التّأسيسيّ الثّلاثيّ آفاقًا وتصوّراتٍ هي في غاية الأهمّيّة من مثل: (حدود النّصّ، وتعريفه، وعناصره، وقيمه، ومظاهره... إلخ). حتّى قادت في

نهاية المطاف إلى أن تصبح نظريّة النّصّ في عداد الإشكاليّات المتأصّلة في الدّرس اللسانيّ الحديث"[77].

وقبل الخوض في هذه المسألة، نقف عند إشكاليّة مفهوم نظريّة النّصّ الذي أثار العديد من الأسئلة والإشكالات انعكست نتائجها على المناهج النّصيّة التّحليليّة. فالاختلاف في تصوّر النّظريّة النّصيّة ترتّب عنه تباين في تصوّر المناهج التي تقارب النّصّ الأدبيّ، ويرجع الخلاف في التّصوّر النّظريّ لمفهوم النّظريّة الأدبيّة إلى دخول عناصر تحليليّة جديدة لم تكن معروفة، ومنها: "التّماسك الدّلاليّ، التّنصيص وأنواعه، وسائل الرّبط المختلفة، الاستبدال النّحويّ وأنماطه، بنى النّصّ، التّناظر السّياقيّ للنّصّ، الانسجام النّصّيّ"[78]. وخاض في نظريّة النّصّ كلّ من "يانوس بتروفي J.S.Petrofi ، وفانديكVan Dijk، وشميث S.Schmidt، وإيزنبرج وهارفج H.Isenberg , Haveg"، وقد أسهم هؤلاء الأعلام في بناء نظريّة النّصّ، فاستغل 'بتروفي Petrofi' مكوّنات النّحو التّحويليّ، أمّا 'فانديك' فكان له الفضل في نقل النّظريّة من النّحو إلى البلاغة، ثم إلى النّصّ، واعتمد 'شميث' على نظريّة الاتّصال اللغويّ، أمّا 'إيزنبرج وهارفج' فركّزا على عنصر التّماسك النّحويّ للنّصّ. وظهر اتّجاه آخر حاول أن يعطي مفهومًا للنّظريّة النّصيّة، فاستبعد العنصر اللغويّ، وركّز على البعد الثّقافيّ للنظريّة. فالنّصّ "وحدة ثقافية صغرى تنطوي تحت بنية كبرى تدعى الرّسالة الثّقافيّة ذات المعنى المتكامل والأشكال المختلفة، وقد تكون وسمًا، أو عملًا فنيًّا، أو مؤلّفًا موسيقيًّا، أو بناية ذات صفة معماريّة"[79].

ويمكننا أن نفترض تفسيرًا لإشكاليّة المفاهيم التي عرضناها في المحور الأوّل، إذ يمكن الإشارة إلى أنّ تباين الرّؤية في النّصّ واختلافها، كان تبعًا لاختلاف المنطلقات والمرجعيّات الفكريّة واللسانيّة التي غذّت الاتّجاهات المتعدّدة المحدِّدة للمفهوم. وبانتقالنا إلى النّصّ في الخطاب العربيّ، تنبّه بعض الباحثين الذين تناولوا مفهوم النّصّ، إلى أنّ المصطلح، حَسْبَ ما طرح في الدّراسات الغربيّة، قد يؤدّي إلى إحداث بعض الإشكالات التّطبيقيّة التي أجملها الباحث 'مجيد مطشرعامر'، في ما يأتي: مشكلة التّعريب والطّاقة التّعبيريّة، خاصّة مصطلح إشكاليّة الرّؤية، إشكاليّة البنية الاحتفائيّة الإحصائيّة، الممارسة النّصيّة، والازدواجيّة المرجعيّة"[80].

من الصّعوبة أن نتمثّل حقيقة نظريّة التّناصّ ما لم نلامس مرجعيّاتها والقضايا التي تتّصل بها، ومن أبرزها: إشكاليّة تداخل المصطلحات، ونعني بذلك التّداخل بين مصطلحات: النّصّ، العمل الأدبيّ، الخطاب، والتّناصّ. فالخوض في هذه المفاهيم سيدخلنا في صلب النّظريّة النّصيّة، التي جاءت لتقوم بوظيفة التّأويل والتّفسير والبحث عن القوانين والعلاقات التي تحكم النّصّ وتنظّمه. وقد حاول 'رولان بارت' وضع معالم نظريّة النّصّ وتحديد أطرها؛ "لاكتشاف النّسيج في حالة نسجه، في حالة تشابك الأنظمة، الدّوالّ، النّسج الذي يتموضع فيه الفاعل، وينحلّ مثل عنكبوت ليحلّ في عكاشه"[81]. وقف 'رولان بارت' عند إشكاليّة المفاهيم التي عرضناها وهي:

النّصّ، الخطاب، العمل الأدبيّ، والتّناصّ، في بحثه الموسوم (نظريّة النّصّ)، وممّا يؤكّد وعي 'بارت' بهذه الإشكاليّة قوله: "لا ينبغي أن نخلط بين النّصّ والعمل الأدبيّ، عمل أدبيّ: ذلك شيء مفروغ منه، نحتفظ به، يستطيع أن يملأ فضاء فيزيائيًّا (مكان في رفوف المكتبة مثلا). أمّا النّصّ فهو حقل منهجيّ... إنّ العمل الأدبيّ يحمل باليد والنّصّ يحمله الكلام"[82]. وأشار 'بارت'، بوضوح، إلى الفرق بين النّصّ والعمل الأدبيّ، فالأوّل حقل منهجيّ، أي أنّه من الصّعب القبض عليه وإحصاؤه والإمساك به، فهو كالحقل الممتدّ الذي تظهر له من بعيد حدود وهميّة. إنّ مفهوم النّصّ كما يراه 'بارت' مرتبط بعالم كامل من النّظم: في القانون، والدّين، والأدب، والتّعليم"[83].

إنّ الأثر الأدبيّ أحاديّ، يخضع لترسيمة العالم والجنس والتّاريخ، ولا يكاد يخرج عنها، وهو ملك لمؤلّفه، يفرض على المؤسّسات ذات الفلسفات الأحاديّة، عدم إعادة النّظر في ذاتها، ولهذا فهو محارب من السّلطات. أمّا النّصّ فتعدّدي يتجاوز حدود المجتمعات ويخرجها، وهو ما يضمن له الخلود... لا يفرض معنى وحيدًا على متلقّين مختلفين، إنّما يتراءى للشّخص الواحد بمعانٍ مختلفة، يتميّز بالهيجان والثّورة على ترسيمة الأجناس الأدبيّة"[84].

وإذا كنّا منذ حين كشفنا عن الفرق بين النّصّ والعمل الأدبيّ، فإنّ الحديث لا يستقيم إذا لم نقف عند مفهومي النّصّ والخطاب اللذين يصعب الفصل بينهما؛ لتداخل المفهومين. "وقد تسبّب هذا التّداخل في تعدّد زوايا النّظر إلى النّصّ والخطاب، والعلامات الفارقة بينهما من حيث شكل التّواصل، والاتّساع والشّموليّة، والعلامات الجامعة بوصفهما جهازين إفهاميّين، يتّفقان في وسيلة التّوصيل، وعلاميّة التّجلّي في مختلف الثّقافات"[85]. ونتج عن التّداخل بين النّصّ والخطاب تعدّد زوايا النّظر التي لخّصها الباحث 'مجيد مطشّر' في ثلاثة اتّجاهات: الاتّجاه الأوّل يميل إلى عقد أواصر الألفة بين المصطلحين، بحيث لا يرى فرقًا بينهما. والاتّجاه الثّاني لا يساوي بين النّصّ والخطاب، وإنّما "يقصر النّصّ على المظهر الكتابيّ، فيما يقصر الخطاب على المظهر الشّفويّ". والاتّجاه الثّالث يميل إلى التّوفيق بين المفهومين عن طريق علاقة الجزء بالكلّ، إذ يرى أن الخطاب "مجموعة من النّصوص ذات العلاقات المشتركة"[86].

نصل إلى مصطلح 'التّناصّ' بوصفه مصطلحًا يتداخل مع النّصّ، "ويظهر التّداخل بشكل خاصّ في كتابات ما بعد البنيويّة، إذ بدا للباحثينَ أنّ مصطلحي النّصّ والتّناصّ يشتركان في المعنى الجذريّ ضمن مفاهيم تبيّن تآزر الكلمات بعضها مع بعضها الآخر لتشكّل نسيجًا نصّيًّا جديدًا عبر ترابطات مختلفة"[87]. ويمكن القول بعدم وجود نصّ خالص بريء ليس له علاقات تفاعليّة مع نصوص أخرى. فالنّصّ ابن النّصّ أو ابن نصوص أخرى سابقة عليه أو معاصرة له، ومن هنا كان التّداخل بين مفهومي التّناصّ والنّصّ بسبب التّداخل والتّعالق بين النّصوص. ويؤكّد فاضل ثامر أنّ النّصّ "لا يمكن أن يكون نقيًّا وبريئًا؛ لأنّه في جوهره مجموعة من النّصوص 'المتداخلة'[88].

اتسع مفهوم التّناصّ وضبطت آلياته وأدواته الإجرائيّة انطلاقًا من 'جوليا كريستيفا' التي استحدثت مفاهيم نصيّة تندرج في هذا الحقل من مثل 'الإنتاجيّة النّصيّة' التي تعني قوّة النّصّ في إيجاد تفاعل مع نصوص أخرى، فتكون له القدرة على إنتاج نصوص أخرى، فضلًا عن مفهوم "التّمعني"La Signifiance 'الذي يعني الدّلالة المتواصلة في النّصوص المتداخلة والمتناصّة، والنّصّ الظّاهر الجانب الشّكليّ منه أو نصّ التّكوين ـ... ـ ويبقى النّصّ دومًا في نظر 'ج. كريستيفا' "عبارة عن لوحة فسيفيسائيّة من الاقتباسات. وكلّ نصّ هو تشرّب وتحويل لنصوص أخرى"[89].

وإذا كانت 'ج. كريستيفا' قد اعتبرت النّصّ لوحة فسيفيسائيّة من الاقتباسات، فإن 'ر. بارت' يراه نسيجًا، أيضًا، من الاقتباسات الذي لا يمكن أن ينفصل عن فكرة التّناصّ، أو تداخل النّصوص، كما أكّد ذلك في قوله: "النّصّ نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء التي تنحدر من لغات ثقافيّة سابقة ومعاصرة"[90]. وقد بذل النّقّاد العرب المعاصرون جهودًا مخلصة لتأصيل مفهوم التّناصّ في الخطاب النّقديّ العربيّ القديم، والبحث عن امتداداته. وتمظهرت إسهاماتهم في التّأليف والتّرجمة، وفي التّعريف بنظريّة التّناصّ وتأصيلها في تراثنا العربيّ القديم. ومن هؤلاء: محمّد مفتاح، وسعيد يقطين، وصبحي الطّعّان وأحمد ناهم، وباقر جاسم محمّد، وعبد الله إبراهيم، وعبد الملك مرتاض، وعبد الله الغذامي، وبشير قمري، وأحمد الحذيري، ومحمّد عزّام... وغيرهم كثير.

ومن هذا العرض نلج إلى نظريّة النّصّ بوصفها النّظريّة التي تحاول مقاربة النّصّ علميًّا، من خلال العلاقات التي تحكم البناء النّصّيّ، وتكشف عن هويّته وطريقة نسجه على حدّ تعبير النّقّاد العرب القدماء، كما رأينا في الجزئيّة الأولى. وقد لعب الفكر اللغوي السّوسيري دورًا بالغ الأهمّيّة في تأصيل نظريّة النّصّ، ويمكن أن نؤكّد على هذه المسألة من خلال رؤية 'رولان بارت' إلى النّصّ بوصفه علامة كبرى تتشكّل من دالّ ومدلول. فالدالّ يتمثّل في الحروف والكلمات والجمل والفقرات، أمّا المدلول فيتمثّل في البنية العميقة أو المعنى الذي يتحدّد من خلال تفاعل العلاقات النّصّيّة.

تقوم نظريّة النّصّ من منظور بارت بعدّة وظائف ومهامّ أساسيّة، منها التّوثيق، فضلًا عن عمليّتين مهمّتين هما: 'الاسترجاع La Restitution'، والتّأويل L'interprétation[91]. ويعني مفهوم الاسترجاع استعارة كلّ المداليل التي تقمّصها الدّالّ عبر فترات سحيقة من التّاريخ ليتمكّن من ترسيمها وإحيائها ثم تحيينها في النّصّ. ومن هنا يتأسّس التّأويل بوصفه أحد المعالم الرّئيسة لنظريّة النّصّ، وبه يتحقّق وجوده الفعليّ. وهو يقتضي، أيضًا، شروطًا أساسيّة يمكن اختزالها في مصطلح الخبرة النّصّيّة التي تمكّن القارئ من تحقيق فعل التّأويل. والخبرة النّصّيّة التي نعنيها هي ما اصطلح عليها 'بارت' بِـ 'الممارسة النّصّيّة La Pratique Textuelle 'التي تنتج ممارسة

دلاليّة، "إنّها أوّلًا نظام دالّيّ مميّز، خاضع لتصنيفيّة الدّلالات (...) وكانت مدرسة 'براغ' قد طرحت تلك الحاجة للتّمييز، فهي تفرض أنّ الدّلالة لا تحدث بالطّريقة نفسها، ليست فقط بحسب مادّة الدّالّ (...) ويمكن بحسب تعدّد الجوانب التي تؤلّف كيان اللافظ (...) من بعد، يمكن له أن يكون ممارسة. وذلك يعني أنّ الدّلالة لا تحدث في مستوى تجريد (اللغة) كما قال سوسير، ولكن بترخيص من عمليّة تستمرّ في الوقت نفسه، بحركة واحدة جدل الفاعل، وجدل الآخر والسّياق الاجتماعيّ"[92]. إنّ الممارسة النّصّيّة كما تصوّرها 'بارت' تعدّ أحد العوامل الفاعلة في تحقيق "الإنتاجيّةLa Productivité "، إذ بها تزداد الممارسة النّصّيّة وتقوى، بل هي أبرز المقوّمات الأساسيّة لنظريّة النّصّ، "وقد أطلق عليها عبد الملك مرتاض مصطلح عطاء النّصّ"[93]. ويشترك في الإنتاجيّة كلّ من المؤلّف والقارئ، فالأوّل ينتج النّصّ ويبعثه إلى الوجود، أمّا الثّاني فيقوم بدور التّفكيك والتّحليل والبناء. فالنّصّ الأدبيّ لا يتحقّق وجوده إلا بقدرة قرّائه، فالعطاء "مرهون بقدرة الدّارس على التّناول، أي أنّه خاضع للمنهج المتطلّع القلق الرّاغب الذي يعالجه"[94].

ولا يمكن الحديث عن 'الإنتاجيّة' في غياب الأدوات والآليّات القرائيّة التي تحققها. ومن هنا فإنّ الإنتاجيّة مشروطة بالآليّات المنتجة لها، فكلّما امتلكها القارئ تحقّقت له، وازداد عطاء النّصّ. فالنّصّ أرض خصبة وخصوبتها دائمة، ولكنّها تمتنع عن العطاء إذا لم تجد من هو قادر على جعلها منتجة. "فالنّصّ إنتاجيّة، وكذلك لا يعني أنّه منتوج عمل (...)، ولكنّه السّاحة ذاتها التي يتّصل فيها صاحب النّصّ وقارئه: النّصّ يعتمل طوال الوقت، ومن أنّى تناولناه، ولو كان مكتوبًا "مثبتًا" لا يقف عن الاعتمال وعن تعهّد مدارج الإنتاج. ماذا يعتمل النّصّ؟ اللغة، إنّه يفكّك لغة الاتّصال، لغة التّمثيل أو لغة التّعبير. (...) ويعيد ـ النّصّ ـ بناء لغة أخرى"[95]. ويشترط 'بارت' في إنتاجيّة النّصّ من قبل المؤلّف مداعبته، ومن جهة القارئ فإنّ الإنتاجيّة تنهض عن طريق القراءة والتّأويل، وهذا ما يشير إليه في الفقرة التّالية: "الإنتاجيّة تنطلق، أو تدور دوائر إعادة التّوزيع، ويبزغ النّصّ عندما يباشر المدوّن أو القارئ أو كلاهما مداعبة الدّالّ، إمّا (أن نعني المؤلّف) عندما يضمن نصّه وبلا انقطاع "جناسات"، وإمّا (أن نعني القارئ)، في اختراعه معاني ملتهبة، وإن لم يكن مؤلّف النّصّ قد رصدها، بل ولو كان تخيّلًا مستحيلًا من النّاحية التّاريخيّة: أي أنّ الدّالّ ملك لجميع النّاس ..."[96].

ينهض مفهوم 'الإنتاجيّة' في نظريّة النّصّ على مفهوم آخر يشكّل الدّعامة المركزيّة لهذه النّظريّة، وهو مفهوم: "التّمعني La Signifiance، ويدلّ هذا المفهوم على أنّ الدّلالة التي ينتجها النّصّ (المؤلّف) ليست دلالة نهائيّة لسبب بسيط هو أنّ النّصّ لا يتوقّف عن العطاء والإنتاجيّة ما دامت الأدوات التي يمتلكها القارئ تمكّن من ذلك. فالتّمعني يعطي النّصّ قابليّة للحياة والاستمراريّة في نصوص أخرى، ممّا يعطيه إمكانيّة التّفاعل مع نصوص كثيرة وعديدة وفي أجناس أدبيّة مختلفة. لذا كانت الدّلالة متواصلة باستمرار. "ويصبح من الضّروريّ التّمييز بين

الدّلالة التي تنتمي على صعيد الإنتاج إلى الملفوظ والاتّصال، وبين العمل الدّلاليّ الذي ينتمي إلى صعيد الإنتاج أي التّلفّظ والتّرميز. إنّ ذلك هو الذي نسمّيه 'التّمعني'"[97]. والتّمعني، فضلًا، عن تواصله واستمراره في النّصوص، فهو كما وصفه بارت "على عكس الدّلالة، لا يملك أن يقتصر على الاتصال، على التّمثيل، على التّعبير، إنّه يموضع الفاعل (الكاتب، القارئ) داخل النّصّ، ليس كإسقاط... ولكن "كضياع"... ومن هذا يأتي تقمّصه (أي التّمعني) للمتعة، فالنّصّيّ يصبح شهوانيًا بواسطة متصوّر التّمعني"[98]. وقد أعطت 'ج. كريستيفا' مفهومًا أوسع للتّمعني وربطته بمفهومين آخرين هما: النّصّ الظّاهرة Phéno- texte' والنّصّ التّكوين Géno – texte'، وهما مفهومان لا يستقيمان إلّا بربطهما بمفهوم 'التّمعني' الذي يشمل "النّصّ التّكوين والنّصّ الظّاهرة"[99]. فمفهوم التّمعني "بوصفه ممارسة نصّيّة لا يتحقّق إلّا في ظلّ النّصّ التّكوين، والنّصّ الظّاهرة، وفي الكلام تتحقّق الوظيفة الدّلاليّة"[100].

إنّ النّصوص على اختلاف أجناسها وأنواعها تمارس ظاهرة "التمعني"، ولو على سبيل الافتراض، من خلال العلاقات التّفاعليّة التي تقيمها فيما بينها، لأنّ الدّلالة دومًا متواصلة في النّصوص بشكل أو بآخر كما تبيّن 'كريستيفا' في الفقرة التّالية: من "المفترض وجوده (أي التّمعني) في خطابات أخرى... وكلّ نصّ يقع تحت سلطة الخطابات الأخرى التي تشكّله"[101].

يقودنا الحديث عن التّمعني 'La Signifiance' - في سياق نظريّة النّصّ - إلى تناول مفهوم "تخلّق النّصّ Géno -Texte خلقة النّصّ Phéno -Texte"، وهو من المفاهيم الرّئيسة لنظريّة النّصّ، والذي يعدّ إحدى آليّاتها الأساسيّة، كنّا قد أشرنا إليه من قبل إشارة عابرة، ذلك أنّ مفاهيم هذه النّظرية في شموليّتها، تشكّل بناء مفاهيميًّا مرصوصًا، يضع الإطار العامّ للنّظريّة. ويعدّ مفهوم [خلقة النّصّ] الشّكل الظّاهري لبنية النّصّ، أي النّصّ كما وصل إلى القارئ في شكله النّهائيّ، واصطلح 'رولان بارت' على المفهوم "الظاهرة الكلمة كما تبدو في بنية الملفوظ المحسوس"[102]. وهي الظاهرة التي أنتجها 'التّمعني' من خلال تواصله واستمراره في النّصوص، ليصل في الأخير إلى اتّخاذ شكل معين. إنّه [خلقة النّصّ] أو بنيته السّطحيّة التي تسوسها بنية خفيّة أخرى. وكما يقول 'بارت' فإنّ التّمعني "لا حدود له بسره عبر نتاج محتمل: ويلتقي مستوى الاحتمال هذا بـ 'خلقة النّصّ'. ثمّ إنّ نجاح المناهج التّحليليّة التي نطبّقها عادة... تنصب على 'خلقة النص'... إنّه ـ التّحليل ـ يتناول الملفوظات وليس التّلفّظ"[103]. ومن هنا يمكن استخلاص ثلاثة مستويات تتعلق بـ 'خلقة النّصّ' كما بيّنها بارت:

1 ـ التّمعني لا بدّ له من شكل معيّن يمكّنه من البوح عن نفسه، وهنا تبرز 'خلقة النّصّ'.

2 ـ المناهج النّقديّة هدفها 'خلقة النّصّ' بهدف مقاربة شكله.

3 ـ البنيويّة الشّكليّة أبرز المناهج النّقديّة اهتمامًا بـ 'خلقة النّصّ'.

ومن مفهوم [خلقة النّصّ] نتحوّل ـ حتمًا ـ إلى مفهوم آخر متّصل به اتّصالًا وثيقًا وهو [تخلّق النّصّ]، وهو يشكّل مع المفهوم السّابق ثنائيّة متلازمة كتلازم النّصّ بالكتابة. وقد حدد 'بارت ' مفهومه في كونه عمليّة خاصّة، ينهض بها 'فاعل اللفظ'،... حقل منطقيّ نفسيّ، يتجاوز الشّكل والتّحليل، "إنّه الموضع الذي تنبني فيه "خلقة النّصّ"، إنّه مجال كلميّ وغريزيّ في آنٍ معًا"[(104)].

خاتمة البحث ونتائجه

- اتّضح لنا من خلال استقراء النّصوص النّقديّة في تراثنا العربيّ القديم المتّصلة بالحقول المعرفيّة وفي فترات زمنيّة مختلفة، وعيه مسألة التّنظير للنّصّ، وخاصّة النّصّ الشّعريّ بوصفه الجنس الأدبيّ المهيمن على الفضاء الأدبيّ في تلك العهود، وحظي باهتمام اللغويّين والنّقّاد الذين كانت لهم إسهامات كبيرة أصّلت لنظريّة النّصّ الأدبيّ، فأنتجوا المصطلحات والمفاهيم والآليّات التي تشكّل الأساس الفعليّ لجذور نظريّة النّصّ المعاصرة.

- أكّد البحث أنّ الدّراسة المحايثة للفكر النّقديّ العربيّ القديم لم تحظ بالعناية المطلوبة من لدن الباحثين المحدثين، حيث إنّ الدّرس النّحويّ والبلاغيّ والنّقديّ يتوفر على إرث غنيّ من المفاهيم والمصطلحات التي تشكّل مدخلًا لتأسيس معالم نظريّة نصّيّة عربيّة، يمكن استثمارها بعد مراجعة شاملة للجهاز المفاهيميّ.

- لقد سما الفكر اللغويّ والنّقديّ بالكتابة والكتاب، وكان ذلك مدخلًا إلى ثقافة النّصّ التي خلّصته من ثقافة المشافهة، وبذلك دخلت الحضارة العربيّة حضارة النّصّ بلا منازع، ونموذجنا في ذلك القرآن الكريم، فهو نصّ يتّسم بكلّ صفات الأجناس الأدبيّة وبخصائصه الأسلوبيّة والبلاغيّة المتفرّدة، فجمع أشكال الكتابة جميعها وتفرّد عنها في الوقت نفسه، وبذلك يخرج 'النّصّ' القرآنيّ عن دائرة التّصنيفات النّصوصيّة، وإنّ خصائصه تكمن في نظمه وتأليفه، كما ذهب إلى ذلك عبد القاهر؛ إنّه النّصّ المطلق الذي تقف أمامه المقاربات التّحليليّة منبهرة.

- أكّد البحث أنّ الطّروح والأفكار التي جاءت في التّراث البلاغيّ والنّقديّ العربيّين لم تكن بعيدة عن الإنجازات النّقديّة الغربيّة المعاصرة بل تتقاطع معها في كثير من تفاصيلها. فقد أصّل التّراث العربيّ مفهوم النّصّ بمعنى النّسج قبل أن يشير إلى ذلك الفكر النّقديّ الغربيّ المعاصر، "إنّما الشّعر صناعة وضرب من النّسج "، كما أصّل مفهوم "جسديّة النّصّ" ليؤكّد كينونته وفعاليّته وفرادته في عالم الظّواهر. كما نجد تأصيلًا لمفهوم "القصديّة" الذي يؤكّد رؤية التّراث الشموليّة للنّصّ، وأضاف عبد القاهر مفهوم "النّظم" الذي أعطى نظريّة النّصّ في التّراث بعدًا جماليًّا وعلميًّا، وهو طرح مسبوق لفكرة 'الأدبيّة' عند الشكلانيّين الرّوس، التي تبحث فيما يجعل الأدب أدبًا، وهذا هو مفهوم "النّظم" بعينه.

- أصّل البحث، أيضًا، مفهوم "العلاقات" النّصيّة من خلال تأصيل التّراث لمفهومي "التّمازج" و"التّناسب" وغيرهما من المفاهيم النّصيّة التي جاءت في التّراث ـ كما رأينا ـ والتي تؤصّل نصوصيّة النّصّ. ثم ثبّت البحث مفهوم "الصّناعة" النّصيّة وهو من المفاهيم الشّائعة في التّراث الأدبيّ والنّقديّ القديم ـ (وخاصّة عند الجاحظ، وابن سلّام، وابن طباطبا، والقرطاجنّي، وابن رشيق القيروانيّ، وغيرهم) ـ واستخدم المصطلح في الخطاب النّقديّ الغربيّ المعاصر، وبخاصّة عند 'ريفاتير' في كتابه 'صناعة النّصّ' La Production du Texte.

- إذا كانت نظريّة النّصّ قد أثارت العديد من الأسئلة والإشكاليّات التي انعكست نتائجها المختلفة على المناهج النّقديّة التّحليليّة، فإنّ المبدأ العامّ الذي تنهض عليه نظريّة النّصّ الأدبيّ، هو التّقرّب من النّصّ علميًّا، من خلال البحث عن العلاقات التي تحكم بناء النّصّ، فضلًا عن هويّته وطريقة نسجه. وليس غرضنا من رصد هذه النّتائج تأكيد فكرة التّطابق والانسجام بين ما توصّل إليه أعلام نظريّة النّصّ في النّقد الغربيّ المعاصر من أمثال جوليا كريستيفا، ورولان بارت وغيرهما، مع ما جاء به ابن سلّام والجاحظ، وابن طباطبا، وعبد القاهر، والسّجلماسي، والقرطاجنّي، وغيرهم، فهذا غير وارد ألبتّة، إنّما غرضنا إثبات التّأصيل والتّواصل على مستوى المصطلحات والمفاهيم لاستثمارها وتحيينها، وإحياء ما يمكن إحياؤه؛ ليكون الإرث النّقديّ العربيّ مسايرًا المستجداتِ النّقديّةَ الرّاهنة.

مفهوم النّصّ بين منظور التّراث ورؤية الحداثة وأثره في صياغة نظريّة النّصّ الأدبيّ

The Concept of Text from the Perspective of Heritage and Modernity: Its Impact on Formulating the Theory of a Literary Text

Noureldeen Saddar, *Department of Arabic Language and Letters, University Mustafa Stambouli of Mascara, Algeria.*

Khaled Bani Domy, *Department of Arabic Language and Literature, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This research aims to discuss the problem of the textual concept in the Arab critical heritage and the Western critical thought and to show its impact on formulating the contemporary literary textual theory. It is the problem that stems from the assumption that Arab critical thought has originated in the components of this theory, which we find have roots and references in our critical, literary, rhetorical and philosophical heritage. Hence, the textual theory in the contemporary critical thought is an extension of this legacy, benefiting from the achievements of philosophers, linguists and critics, and the achievements of contemporary critical approaches.

The research attempts answer some important questions such as: was the critical study concerned with theorizing the text? Does the critical heritage have the mechanisms for dealing with the text? What is the role of this critical heritage in the formulation of contemporary literary textual theory?

To answer these questions, we follow a procedural plan that falls into three axes. The first one is dedicated to the analysis of the components of textual theory and its references in our critical and rhetorical heritage. The second one is devoted to the components of the textual theory in the Western critical thought. The last one is dedicated to the effect of the concept of the text in formulating the features and dimensions of the literary textual theory.

Keywords: Problematics of Concept, Critical Heritage, Referential, Components, Textual Theory.

الهوامش

1- ابن منظور أبو الفضل، محمّد بن مكرم، لسان العرب، المجلّد الرّابع، (ز.س.ش.ص.ض.ط.ظ)، ط5، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة، 1426هـ/ 2005 م، ص 539/ 540.

2- الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين، شرح المعلّقات السّبع، ط4، بيروت، لبنان، دار الثّقافة 1379هـ/ 1959م، ص 21. ويذهب بعض الباحثين إلى أنّ الدّلالات التي تضمّنتها المعاجم اللغويّة العربيّة لمفهوم 'النّصّ' لا نكاد نعثر (عليها)... في الدّراسات النّقديّة الحديثة... وعلى الرّغم من شيوع استخدام كلمة نصّ في كتابات السّلف الأصوليّة والفقهيّة... (فإنّ) مفهوم النّصّ بقي محصورًا في الدّلالة على الكتاب والسّنّة، فضلًا عن بعض الدّلالات الأخرى التي سنشير إليها بعد حين.

3- الفيروز آبادي، مجد الدّين أبو طاهر محمّد بن يعقوب بن محمّد، القاموس المحيط، المجلّد الأوّل، مادّة (نصّ) المؤسّسة العربيّة للطّباعة والنّشر، (ب.ت)، ج2، ص 331.

4- الرّازي، محمّد بن أبي بكر، مختار الصّحاح، مادّة (نصّ)، ط1، بيروت، دار إحياء التّراث العربيّ، 1999، ص 382/381.

5- أدونيس، علي أحمد سعيد، النّصّ القرآنيّ وآفاق الكتابة، بيروت، دار الآداب، 1993م، ص 20/ 34.

6- الماضي، شكري، من إشكاليّات النّقد العربيّ الجديد، ط1، بيروت، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، 1997 م، ص174.

7- الجرجانيّ، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تعليق السّيّد محمّد رشيد رضا، بيروت، دار المعرفة، 1982م، ص 300.

8- الباقلانيّ، أبو بكر، إعجاز القرآن، تحقيق السّيّد أحمد صقر، ط3، القاهرة، دار المعارف، 1971م، ص 35.

9- أدونيس، علي أحمد سعيد، النّصّ القرآنيّ وآفاق الكتابة، بيروت، دار الآداب، 1993م، ص 36/35.

10- المرجع نفسه، ص 30.

11- إبرير، بشير، مفهوم النّصّ في التّراث اللسانيّ العربيّ، مجلّة جامعة دمشق، م 23، ع 2007،،1م، ص 85.

12- حاجّ صالح، عبد الرّحمن، الجملة في كتاب سيبويه، مجلّة المبرز، الجزائر، ع 2، الجزائر، 1993م، ص8.

13- الجابري، محمد عابد، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربيّة، ط5، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربيّة، 1996م، ص 14/13.

14- المرجع نفسه، ص 14.

15- إبرير، بشير، مفهوم النّصّ في التّراث اللسانيّ العربيّ، مجلّة جامعة دمشق، م 23، ع 1، 2007م، ص 93.

16- أبو زيد، نصر، مفهوم النّصّ، دراسة في علوم القرآن، ط2، بيروت، المركز الثقافيّ العربيّ، 1994م، ص 9.

17- المرجع نفسه، ص 98.

18- صمود، حمادي، التفكير البلاغيّ عند العرب، تونس، منشورات الجامعة التّونسيّة، المطبعة الرّسميّة للجمهوريّة التّونسيّة، 981 م، ص138.

19- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تح: عبد السّلام هارون، الحيوان، ط2، بيروت، دار الجيل، 1996م، ج1، ص 35.

20- إبرير، بشير، مفهوم النّصّ في التّراث اللسانيّ العربيّ، مجلّة جامعة دمشق، م 23، ع1، 2007م، ص 100.

21- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تح: عبد السّلام هارون، البيان والتّبيين، ط4، مصر، مكتبة الخانجي، 1395هـ/ 1975م، ج1، ص 67.

22- المرجع نفسه، ص 66. وأولاد العَلّات هم الذين وُلدوا من أمّهات شتّى وأبوهم واحد.

23- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تح: عبد السّلام هارون، الحيوان، ط2، بيروت، دار الجيل، 1996م، ج3، ص 123.

24- السّعدني، مصطفى، التناصّ الشّعريّ، الإسكندريّة، منشأة المعارف، 1991م، ص75.

25- الغذّامي، عبد الله محمّد، ثقافة الأسئلة، جدّة، النادي الأدبيّ الثّقافيّ، ط1، 1412هـ/ 1992م، ص 96.

26- قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغداديّ أبو الفرج، نقد الشّعر، تح، كمال مصطفى، ببغداد، مكتبة الخانجي بمصر/ مكتبة المثنّى 1963م، ص 15.

27- القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمّد، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة، تونس، دار الكتب الشرقيّة،1981م، ص 204.

28- مفتاح، محمّد، ديناميّة النّصّ، ط1، المغرب، الدّار البيضاء، المركز الثقافيّ، 1987م، ص 37.

29- عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، تعليق: السّيّد محمّد رشيد رضا، بيروت، دار المعرفة، 1982م، ص 313، 316، 377.

30- المرجع نفسه، ص 94/ 95.

31- الرّوبي، ألفت كمال، 1986م، مفهوم الشّعر عند السّجلماسيّ، القاهرة، مجلّة فصول، مج 6، ع 2، 1986، ص 34.

32- السّجلماسيّ، أبو محمّد، تح: الغازي علال، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، ط1، الرّباط، المغرب، مكتبة المعارف، 1981، ص 218.

33- الفارابي، أبو نصر، ضِمن أرسطو طاليس "فنّ الشعر"، تر: بدوي عبد الرّحمن: "رسالة في قوانين صناعة الشّعراء"، القاهرة، مكتبة النّهضة المصريّة، 1953، ص 156. والسّلجسة: استعمال السّولوجسموس، أي القياس. والمسلجس: المستعمل للقياس.

34- المرجع نفسه، ص 161.

35- ابن رشيق، أبوعليّ الحسن، العمدة، في صناعة الشّعر ونقده، تح: النّبوي عبد الواحد شعلان، القاهرة، مكتبة الخانجي، (ب.ت)، ج1، ص 181.

36- الحطيئة، الدّيوان، رواية وشرح ابن السكّيت، ط1، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1993، ص 185.

37- ابن رشيق، أبوعليّ الحسن، العمدة في صناعة الشّعر ونقده، تح: النّبوي عبد الواحد شعلان، القاهرة، مكتبة الخانجي، (ب.ت)، ج1، ص188.

38- المرجع نفسه، ص 190.

39- المرجع نفسه، ص 196.

40- الحاتميّ، أبوعليّ محمّد، تح: الكتّاني جعفر، حلية المحاضرة في صناعة الشّعر، العراق، بغداد، دار الرّشيد للنّشر، 1399هـ/ 1979م، ج1، ص 215.

41- الغذّامي، عبد الله محمّد، ثقافة الأسئلة، ط1، جدّة، النادي الأدبيّ الثقافيّ، 1412هـ/ 1992م، ص 101/ 102.

42- Dictionnaire Quillet,1974, de la langue Française (q- z), , Paris , Librairie Aristide,P2858

43- الحذيري، أحمد، من النّصّ إلى الجنس الأدبيّ، الفكر العربيّ المعاصر، ع 100/ 101، 1988م، ص41.

44- عيّاشي، منذر النّصّ ممارسته وتجلّياته، مجلّة الفكر العربيّ المعاصر، ع 97/96، 1992م، ص 55.

45- الزّنّاد، الأزهر، نسيج النّصّ فيما يكون به الملفوظ نصًّا، بيروت، المركز الثقافيّ العربيّ، 1993م، ص 12.

46- حسين خمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، سنة 1428ه/ 2007م، ص35.

47- Houdbine, G.L, Première Approche de la Notion du Texte, In. Théorie d'ensemble , Paris, Ed. du Seuil ,1968,P271

48- الواد، حسين، في مناهج الدّراسات الأدبيّة، تونس، دار سراس للنّشر، 1985م، ص 37.

49- بارت، رولان، نظريّة النّصّ، تر: محمّد خير البقاعي، العرب والفكر العالميّ، ع 54/ 55، 1988م، ص 62.

50- Barthes, Roland, 1985, L'Aventure Sémiologique, Ed du Seuil, Paris ,P13

51- ريكور، بول، تر: محمّد برادة، حسّان بورقية، من النّصّ إلى الفعل، ط1، القاهرة، عين للدّراسات والبحوث الاجتماعيّة، 2001م ص105.

52- ميلود، عثماني، شعريّة تودوروف، الدّار البيضاء، دار قرطبة، 1990م، ص 56.

53- كرستيفا، جوليا، تر: الزّاهي، فريد، ناظم، عبد الجليل، علم النّصّ، ط2، المغرب، دار توبقال، 1977م، ص 22.

54- فضل، صلاح، مناهج النّقد المعاصر، المغرب/ بيروت، دار أفريقيا الشّرق، 2002م، ص 127.

55- أحمد الودرني، نظريّة النّصّ عند رولان بارت، تاريخ الاسترجاع: 1/ 12/ 2019، https://www.startimes.com/?t=29782813

56- Greimas, A.J.,2012, du Sens, Paris, Ed , Seuil, P 459.

57- إيكو أمبرتو، الأثر المفتوح، تر: عبد الرّحمن بوعلي، ط2، اللاذقيّة، سوريا، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، 2001، ص 9.

58- المرجع نفسه، ص9.

59- عيّاشي، منذر، مقالات في الأسلوبيّة، ط1، دمشق، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، 1990م، ص 207.

60- عوض، يوسف نور، نظريّة النّقد الأدبيّ الحديث، ط1، بيروت، المؤسّسة العربيّة للدّارسات والنّشر، 1997م، ص67.

61- مفتاح، محمّد، تحليل الخطاب الشّعريّ، استراتيجيّة التّناصّ، ط2، الدّار البيضاء، المركز الثقافيّ العربيّ، 1986م، ص 126.

62- الغذّامي، عبد الله محمد، الخطيئة والتّكفير من البنيويّة إلى التّشريحيّة، ط1، جدّة، النادي الأدبيّ الثقافيّ، 1985م، ص90.

63- المرجع نفسه، ص 90.

64- المرجع نفسه، ص 90.

65- المرجع نفسه،ص 53.

66- المرجع نفسه،ص 54.

67- الماضي، شكري، من إشكاليّات النّقد العربيّ الجديد، ط1، بيروت، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر،1997 م، ص 157.

68- ريكور، بول، ما هو النّصّ؟ مجلّة العرب والفكر العالميّ، بيروت/ باريس، مركز الإنماء القوميّ، ع 66، 1990م، ص 66.

69- المرجع نفسه، ص 12.

70ـ المرجع نفسه، ص 13.

71ـ المرجع نفسه، ص 22.

72ـ المرجع نفسه، ص 22.

73- المرجع نفسه، ص 22.

74- المرجع نفسه، ص 22.

75ـ R.Barthes ,La Théorie du texte ,encyclopédia Universales, P:1014.

76ـ أنور المرتجي، سيمائية النص الأدبي، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، سنة 1987، ص: 34

77- زتسيسلاف وأورزنيك، تر: بحيري، سعيد حسن، مدخل إلى علم النّصّ، مشكلات بناء النّصّ، ط1، القاهرة، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، 2003م، ص 60/53.

78- ثامر، فاضل، النّصّ بوصفه إشكاليّة راهنة في النّقد الحديث، بغداد، مجلّة الأقلام، ع 3ـ 4، 1992م، ص 18.

79- مطشّر، مجيد، نظريّة النّصّ في البحث اللسانيّ الحديث: دراسة في إشكاليةّ المفهوم والتّعريف والمصطلح، مجلّة جامعة ذي قار، ع 1، م 5، 2009م، ص 19.

80- المرجع نفسه، ص 22.

81- بارت، رولان، نظريّة النّصّ، تر: محمّد خير البقاعي، العرب والفكر العالميّ، ع 54/ 55، 1988، ص 97.

82- المرجع نفسه، ص 89.

83- المرجع نفسه، ص 90.

84- مطشّر، مجيد، نظريّة النّصّ في البحث اللسانيّ الحديث، دراسة في إشكاليّة المفهوم والتّعريف والمصطلح. مجلّة جامعة ذي قار، ع 1، م 5، 2009 م، ص 26.

85- المرجع نفسه، ص 24.

86- المرجع نفسه، ص 24.

87- ثامر، فاضل، النّصّ بوصفه إشكاليّة راهنة في النّقد الحديث، بغداد، مجلّة الأقلام، ع3ـ 4، 1992م، ص 18.

88- ثامر فاضل، اللغة الثّانية، ط1، بيروت، المركز الثّقافيّ العربيّ الحديث، 1994، ص 76.

89- كرستيفا، جوليا، تر: الزّاهي، فريد، ناظم، عبد الجليل، علم النّصّ، ط2، المغرب، دار توبقال، 1977م، ص 78.

90- بارت، رولان، تر: بنعبد العالي، عبد السّلام، درس السّيسيولوجيا، الدّار البيضاء، المغرب، دار توبقال، 1986م، ص 63.

91- بارت، رولان، نظريّة النّصّ، تر: محمّد خير البقاعي، العرب والفكر العالميّ، ع 55/54، 1988م، ص 90.

92- المرجع نفسه، ص 94.

93- مرتاض، عبد الملك، دراسة سيميائيّة تفكيكيّة لقصيدة أين ليلاي لمحمّد العيد آل خليفة، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، 1992م، ص 17.

94- المرجع نفسه، ص 17.

95- بارت، رولان، نظريّة النّصّ، تر: محمّد خير البقاعي، العرب والفكر العالميّ، ع 55/54، 1988م، ص 95.

96- المرجع نفسه، ص 94.

97- المرجع نفسه، ص 95.

98- المرجع نفسه، ص 95.

99- Kristeva, Julia, La Révolution du Langage Poétique. Paris, Ed. Seuil, ,1974,0 P 84.

100- المرجع نفسه، ص 93.

101- المرجع نفسه، ص 94.

102- بارت، رولان، نظريّة النّصّ، تر: محمّد خير البقاعي، العرب والفكر العالميّ، ع 55/54، 1988م، ص 96.

103- المرجع نفسه، ص 96.

104- المرجع نفسه، ص 96.

قائمة المصادر والمراجع:

أوّلًا ـ المصادر:

الباقلّاني، أبو بكر، **إعجاز القرآن**، تحقيق: السّيّد أحمد صقر، ط3، القاهرة، دار المعارف، 1971م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، تح: عبد السّلام هارون، ط4، مصر، مكتبة الخانجي، 1395هـ/ 1975م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **الحيوان**، تح: عبد السّلام هارون، ط2، بيروت، دار الجيل، 1996م.

الجرجانيّ، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، تعليق: السّيّد محمّد رشيد رضا، بيروت، دار المعرفة، 1982م.

الحاتمي، أبوعلي محمّد، **حلية المحاضرة في صناعة الشّعر**، تح: الكتاني جعفر، بغداد، العراق، دار الرّشيد للنّشر، 1399هـ/ 1979م.

الحطيئة، **الدّيوان**، رواية وشرح ابن السّكّيت، ط1، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1993.

خمري، حسين، **نظريّة النّصّ من بنية المعنى إلى سيميائيّة الدّالّ**، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، سنة 1428ه/ 2007م.

الرّازي، محمّد بن أبي بكر، **مختار الصّحاح**، مادة (نصّ)، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، 1999.

ابن رشيق، أبوعليّ الحسن، **العمدة في صناعة الشّعر ونقده**، تح: النّبوي عبد الواحد شعلان، القاهرة، مكتبة الخانجي، (ب.ت).

الزّوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين،، **شرح المعلّقات السّبع**، ط4، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1379هـ/ 1959م.

السّجلماسيّ، أبو محمّد، **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع**، تح: الغازي علال، ط1، الرّباط، المغرب، مكتبة المعارف، 1981.

ابن سينا، أبو عليّ حسين، ضِمن أرسطو طاليس "**فنّ الشّعر**"، تر: بدوي عبد الرّحمن: "فنّ الشّعر" من كتاب "**الشّفاء**"، القاهرة، مكتبة النّهضة المصريّة، 1953م.

الفيروز آبادي، مجد الدّين أبو طاهر محمّد بن يعقوب بن محمد، **القاموس المحيط**، المؤسّسة العربيّة للطّباعة والنّشر، (ب.ت).

قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغداديّ أبو الفرج، **نقد الشّعر**، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بمصر، مكتبة المثنّى ببغداد، 1963م.

القرطاجنّيّ، أبو الحسن حازم بن محمّد، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تح: محمّد الحبيب بن الخوجة، تونس، دار الكتب الشرقيّة، 1981م.

المرتجي، أنور، **سيمائيّة النّصّ الأدبيّ**، دار أفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، سنة 1987.

ابن منظور، أبو الفضل، محمّد بن مكرم، **لسان العرب**، ط5، بيروت، لبنان، دار الكتب العلميّة، 1426هـ/ 2005 م.

ثانيا ـ المراجع العربيّة والمترجمة:

أدونيس، علي أحمد سعيد، **النّصّ القرآنيّ وآفاق الكتابة**، بيروت، دار الآداب، 1993م.

إيكو أمبرتوتر، عبد الرّحمن بوعلي، **الأثر المفتوح**، ط2، اللاذقيّة، سوريا، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، 2001م.

بارت، رولان، **درس السّيميولوجيا**، تر: بنعبد العالي، عبد السّلام، الدّار البيضاء، المغرب، دار توبقال، 1986م.

بارت، رولان، **لذّة النّصّ**، تر: صفا، فؤاد وسحبان، الحسين، ط1، الدّار البيضاء، المغرب، دار توبقال، 1988م.

البقاعي، محمّد خير، **دراسات في النّصّ والتّناصيّة**، ط1، حلب، مركز الإنماء العربيّ، 1988م.

الجابري، محمّد عابد، **بنية العقل العربيّ: دراسة تحليليّة نقديّة لنظم المعرفة في الثّقافة العربيّة**، ط5، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربيّة، 1996م.

ريكور، بول، **من النّصّ إلى الفعل**، تر: محمّد برادة، حسّان بورقية، ط1، القاهرة، عين للدّراسات والبحوث الاجتماعيّة، 2001م.

الزّنّاد، الأزهر، **نسيج النّصّ فيما يكون به الملفوظ نصًّا**، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، 1993م.

زتسيسلاف وأورزنيك، **مدخل إلى علم النّصّ، مشكلات بناء النّصّ**، تر: بحيري، سعيد حسن، ط1، القاهرة، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، 2003م.

أبو زيد، نصر، **مفهوم النّصّ: دراسة في علوم القرآن**، ط2، بيروت، المركز الثّقافيّ العربيّ، 1994م.

السّعدني، مصطفى، **التّناصّ الشّعريّ**، الإسكندريّة، منشأة المعارف، 1991م.

صمّود، حمّادي، **التّفكير البلاغيّ عند العرب**، منشورات الجامعة التّونسيّة، المطبعة الرّسميّة للجمهوريّة التّونسيّة، 1981م.

عوض، يوسف نور، **نظريّة النّقد الأدبيّ الحديث**، ط1، بيروت، المؤسّسة العربيّة للدّارسات والنّشر، 1997م.

عيّاشي، منذر، **مقالات في الأسلوبيّة**، ط1، دمشق، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، 1990م.

الغذّامي، عبد الله، **ثقافة الأسئلة**، ط1، جدّة، النادي الأدبيّ الثقافيّ، 1412هـ/ 1992م.

الغذّامي، عبد الله، **الخطيئة والتّكفير من البنيويّة إلى التّشريحيّة**، ط1، جدّة، النادي الأدبيّ الثقافيّ، 1985م.

فاضل ثامر، **اللغة الثّانية**، ط1، بيروت، المركز الثّقافيّ العربيّ الحديث، 1994م.

فضل، صلاح، **مناهج النّقد المعاصر**، بيروت، دار أفريقيا الشّرق، المغرب، 2002م.

كرستيفا، جوليا، **علم النّصّ**، تر: الزّاهي، فريد، ناظم، عبد الجليل، ط2، المغرب، دار توبقال، 1977م.

الماضي، شكري، **من إشكاليّات النّقد العربيّ الجديد**، ط1، بيروت، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، 1997م.

مرتاض، عبد الملك، **دراسة سيميائيّة تفكيكيّة لقصيدة أين ليلاي لمحمّد العيد آل خليفة**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، 1992م.

مفتاح، محمّد، **تحليل الخطاب الشّعريّ، استراتيجيّة التّناصّ**، ط2 الدّار البيضاء، المركز الثّقافيّ العربيّ، 1986م.

مفتاح، محمّد، **ديناميّة النّصّ**، ط1، الدّار البيضاء، المغرب، المركز الثّقافيّ، 1987م.

ميلود، عثماني، **شعريّة تودوروف**، الدّار البيضاء، دار قرطبة، 1990م.

الواد، حسين، **في مناهج الدّراسات الأدبيّة**، تونس، دار سراس للنّشر، 1985م.

الدّوريّات العربيّة:

إبرير، بشير، مفهوم النّصّ في التّراث اللسانيّ العربيّ، **مجلّة جامعة دمشق**، م 23، ع 1، 2007م.

بارت، رولان، نظريّة النّصّ، تر: محمّد خير البقاعي، **العرب والفكر العالميّ**، ع 54/ 55، 1988م.

ثامر، فاضل، النّصّ بوصفه إشكاليّة راهنة في النّقد الحديث، **مجلّة الأقلام**، ع 4،3، 1992م.

الحذيري، أحمد، من النّصّ إلى الجنس الأدبيّ، **الفكر العربيّ المعاصر**، ع100/ 101، 1988م.

حاج صالح، عبد الرّحمن، الجملة في كتاب سيبويه، **مجلّة المبرز**، الجزائر، ع 2، 1993م.

الرّوبي، ألفت كمال، مفهوم الشّعر عند السّجلماسيّ، **مجلّة فصول**، مج 6، ع 2، 1986م.

ريكور، بول، ما هو النّصّ؟ **مجلّة العرب والفكر العالميّ**، مركز الإنماء القوميّ، بيروت/ باريس،ع 66، 1990م.

عيّاشي، منذر، النّصّ ممارسته وتجلّياته، **مجلّة الفكر العربيّ المعاصر**، ع 97/96، 1992م.

مطشّر، مجيد، نظريّة النّصّ في البحث اللسانيّ الحديث، دراسة في إشكاليّة المفهوم والتّعريف والمصطلح، **مجلّة جامعة ذي قار**، ع1، م 5، 2009 م.

المراجع الأجنبيّة:

Barthes, R. (n.d). *La Théorie du texte*, encyclopédia Universales.

Barthes, Roland, 1985, *L'Aventure Sémiologique*, Ed du Seuil, Paris.

Dictionnaire Quillet,1974, *de la Langue Française (q-z), Librairie Aristide*, Paris

Greimas ,A.J.,2012, *du Sens* , Ed , Seuil, Paris.

Houdbine, G.L, 1968, *Première Approche de la Notion du Texte, In. Théorie d'ensemble*, Ed. du Seuil, Paris.

Kristeva, Julia,1974, *La Révolution du Langage Poétique*. Ed. Du Seuil, Paris.

المواقع الإلكترونيّة:

أحمد الودرني، نظريّة النّصّ عند رولان بارت، 2011م، تاريخ الاسترجاع: 1/ 12 / 2019.
https://www.startimes.com/?t=29782813